STRATEGIECS®

ستراتيجيكس®

"دويلة الجولاني"

واقع "هيئة تحرير الشام" ومستقبلها في ظل صعود حركة طالبان الأفغانية

حقوق النشر محفوظة © 2022

الفهرس

ملخص ____ 3

مقدمة ____ 4

الجولاني من التكفيرية «المعولمة» إلى التكفيرية «المحلية» ____ 6

أولًا: الجولاني بين داعش والقاعدة (النصرة، فتح الشام) ____ 6

ثانيًا: تأسيس التكفيرية «السورية» المحلية (هيئة تحرير الشام) ____ 9

ثالثًا: تداعيات تحولات الجولاني وهيئته مع الجماعات التكفيرية الأخرى ____ 9

إشكالية العلاقة بين الجولاني والظواهري ____ 10

شكل العلاقة بين الجولاني و"القاعدة" بعد مقتل الظواهري ____ 11

استراتيجية الجولاني وأفكاره السياسية والتنظيمية والعقدية ____ 12

أولًا: الانفكاك عن التكفيرية العالمية ____ 12

ثانيًا: السياسة الشرعية ورهانات الواقع المحلي ____ 12

ثالثًا: الحكم الإسلامي والتدرج في تطبيق الشريعة ____ 13

رابعًا: سياسة الاحتواء وتصفير المشكلات مع الجماعات المحلية ____ 14

خامسًا: المرجعية الفقهية والمذهبية في هيئة الجولاني التنظيمية ____ 15

دويلة الجولاني.. إدلب نقطة الارتكاز ____ 16

أولًا: مظاهر سلطة الجولاني في الشمال السوري ____ 16

ثانيًا: المجال العسكري ومصادر التمويل ____ 17

معبر باب الهوى ____ 19

الجولاني واستراتيجية المواجهة والتحالفات محليًّا وإقليميًّا ____ 20

أولًا: «هيئة تحرير الشام» والنظام السوري وحلفائه ____ 20

ثانيًا: «هيئة تحرير الشام» وتركيا ____ 20

ثالثًا: «هيئة تحرير الشام» والغرب ____ 21

رابعًا: الجولاني وتنظيم «داعش» ____ 21

تأثيرات صعود طالبان على الجولاني ومستقبل «هيئة تحرير الشام» ____ 22

الاستنتاجات ____ 24

المصادر والمراجع ____ 25

مصطفى زهران

كاتب وباحث في الحركات الإسلامية

ملخص

كشفت التحولات الأيديولوجية والسياسية لزعيم هيئة تحرير الشام «أبو محمد الجولاني» خلال السنوات الأخيرة عن طموحات كبرى لديه تتجاوز فكرة كونه «قائد مجموعة متطرفة» مناهضة للدولة السورية، خاصة بعد فك ارتباطه بالحالة العالمية أو المعولمة للحركات التكفيرية، بدءاً من انقلابه على تنظيم «داعش»، ومرورًا بانفصاله عن تنظيم «القاعدة»، وانتهاءً باستدارته نحو بلورة مشروع سياسي ذي صبغة محلية.

وتكمن خطورة مشروع الجولاني في سوريا في قدرته على إخضاع مساحات جغرافية في الشمال الغربي، وإحكام سيطرته العسكرية عليها، وتأسيس ما أطلق عليه «حكومة الإنقاذ» المدنية التي أسند إليها الإدارة الكاملة والشاملة لما باتت توصف ب «دويلة الجولاني الإسلامية».

وجاء صعود حركة طالبان إلى السلطة في أفغانستان ونجاحاتها في إخضاع كامل الأراضي الأفغانية لسيطرتها العسكرية والمدنية والإطاحة بحكومة أشرف غني، ليساهم في تحفيز طموحات الجولاني الرامية إلى تعزيز وجوده السياسي إقليميًّا ودوليًّا، ومحاولاته الدؤوبة لاسترضاء الغرب، وبعث رسائل طمأنة بأنه لا يمثل خطرًا تجاه الولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، وعدم استخدام المناطق الخاضعة لسيطرته لشن هجمات ضدهما، وذلك بالتوازي مع التمدد عسكريًّا على الأرض، بحيث يمتلك بعد ذلك قوة التفاوض على الاستقلالية الجغرافية ونزع الاعتراف الدولي لجماعته في سوريا، خاصة من الغرب، بعد إخراجها من قائمة المطلوبين على لائحة الإرهاب العالمي.

ويبحث هذا العمل في ملامح مشروع الجولاني السياسي والفكري، وأطواره التكوينية، وعلاقاته مع الجماعات الإرهابية مثل «القاعدة» و «داعش»، فضلًا عن الأخرى الإقليمية والدولية، وما يمثل ذلك كله من خطر على المنطقة ككل، وينتقل إلى تأثيرات صعود حركة طالبان الأفغانية على المسارات المستقبلية «لهيئة تحرير الشام» وأهدافها، ويختتم بجملة من الاستنتاجات.

مقدمة

حتى وقت قريب كان تنظيم القاعدة -الذي أسسه أسامة بن لادن وعدد من «الإسلاميين» العرب في أفغانستان عام 1988 - التيار المتطرف المهيمن على ما بات يعرف في الأوساط الإعلامية بـ «الحركة الجهادية العالمية»، والملهم في الوقت ذاته لبقية التيارات المتطرفة الأخرى على اختلاف جغرافياتها المحلية والإقليمية والعالمية، خاصة بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر 2001 [2] التي أعلن التنظيم مسؤوليته عن تنفيذها.

وقبل ذلك بقليل كانت «القاعدة» قد حولت انتباهها نحو الوجود العسكري الأمريكي في الشرق الأوسط، والذي أخذ نحو الانتشار في أعقاب حرب الخليج الثانية ما بين (1990 - 1992)، ومع انتقال القوات الأمريكية إلى الصومال، زحفت «القاعدة» إلى هناك أيضًا، وتمكنت بسرعة قياسية، من السيطرة على مساحات كبيرة من الأراضي الصومالية. وتجلى ذلك أيضاً بوضوح بعد أن نفذت أولى عملياتها ضد الأهداف الأمريكية جنوب اليمن بقصف فندقين كانت تستخدمهما القوات الأمريكية، وتكمن أهمية الحدث في تحويل «القاعدة» لتركيزها من التدريب إلى نشر عملياتها ونفوذها ومعرفتها إلى جبهات متطرفة مختلفة في جميع أنحاء العالم، ما دفع بـ «القاعدة» بعد ذلك لإصدار وثيقتها الشهيرة المعنونة ب «إعلان الجبهة الإسلامية العالمية» في عام 1996، والتي كانت بمثابة المرجعية الأيديولوجيّة الرئيسية لإيجاد المسوغ الشرعي والحركي لإعلان «القتال» ضد القوات الأمريكية والمدنيين الأمريكيين في جميع أنحاء العالم[2].

أعقب ذلك جملة من التحولات المهمة شهدها تنظيم «القاعدة»، خاصة مع التدخل الأمريكي في العراق عام 2003، وهي تحولات دفعت التنظيم إلى تطوير استراتيجياته وتنويع صوره التنظيمية، لتأخذ أشكالاً مغايرة وغير تقليدية كامتداد للتنظيم أو معبرة عنه، سواء كانت تابعة له بشكل مركزي ومباشر أو مرتبطة به بطريقة لامركزية وغير مباشرة، لكن التنظيم في الوقت ذاته ظل محافظًا على الصلة الفكرية الأيديولوجية بشكل رئيس، وذلك كاستجابة للتحديات التي واجهتها «القاعدة» في ظل الوقائع السياسية الجديدة[3].

ونجحت «القاعدة» بعد ذلك في تجنيد مجموعات محلية من خلال المزج بين الأهداف المحلية والعالمية لا سيما في سوريا[4]، خاصة مع اندلاع الأزمة السورية، والتي حملت معها الكثير من التداعيات والنتائج المهمة، كان أبرزها زيادة أعداد الجماعات المتطرفة وتنوع مظاهرها، وإحكام سيطرتها على الأرض، ما أتاح فرصة كبرى لتلك الجماعات، مثل «جبهة النصرة» سابقاً لإيجاد موطئ قدم لها في قلب الشرق الأوسط[5]، بعد أن وظفت أجواء الفوضى الناجمة عن تدهور الأوضاع السياسية والأمنية لصالحها، بشكل أدى إلى تعزيز دور تلك الجماعات المنادية بإقامة «حكم ديني» على حساب الحركات المُسلحة الأخرى ذات الطابع العلماني[6].

وقد كان من أبرز هذه الجماعات وأكثرها خطورة «جماعة الجولاني» التي عايشت أطوارًا عدة منذ بدء الأزمة السورية، ويعد (أبو محمد الجولاني) من أكثر المتطرفين السوريين المثيرين للجدل في تاريخها المعاصر، نظرًا لما شهدته سياساته البراغماتية من تأرجح في ولائه التنظيمي ما بين «القاعدة» و «داعش» (2013 و2016)، واتجاهه بعد ذلك صوب التخلي عن تلك الولاءات، ثم بلورة جماعته بشكل مستقل عنهما، بتصورات براغماتية ومحددات سياسية جديدة، مع المحافظة على النسق الأيديولوجي والهدف الاستراتيجي الذي يوحدهم جميعاً[7].

وهنا برزت مرحلة جديدة في مسار الحركات التكفيرية المعولمة وتحولاتها، ضعفت معها تأثيرات تنظيم «القاعدة» من الناحية التنظيمية، وبقيت آثارها الفكرية في نطاق ضيق، خاصة مع ما أقدم عليه الجولاني في يوليو 2016 من فك ارتباطه بالتنظيم، إذ كانت «القاعدة» تمنّي نفسها بأنه فك الارتباط قد يصب في صالحها، وتمثل ذلك في مصادقة القيادة المركزية للتنظيم عليه، بما في ذلك الرجل الثالث في تلك القيادة (أبو الخير المصري)، إلا أنّ الجولاني كان يضمر في نفسه شيئًا مختلفًا، اتضحت معالمه في السنوات الأربع التالية، بعد انتقال جماعته إلى تشكيل جديد تحت مسمى «هيئة تحرير الشام»، ثم فرض شروط صارمة على من تبقى من الموالين لتنظيم «القاعدة» ممن رفضوا قطع علاقاتهم بالتنظيم وأعادوا تجميع صفوفهم في كيان جديد يسمى «حراس الدين»[8].

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل عمل الجولاني على تحجيم أنشطة «حراس الدين» والاستيلاء على أسلحتها الثقيلة واعتقال عناصرها وقادتها البارزين، ثم أنشأ حكومة أطلق عليها «حكومة الإنقاذ» مهمتها تيسير الشؤون المدنية في المناطق الخاضعة لسيطرته[9]، خاصة بعد تراجع قوة تنظيم «داعش» في معقلَيه الأساسيَّين، سوريا والعراق، ما دفع بأن تصبح «هيئة تحرير الشام» هي الأقوى بين الفصائل المتطرفة والمُسلحة في سوريا[10]، بعد أن باتت تسيطر على ما يقرب من نصف محافظة إدلب، آخر معقل للفصائل والقوى المناهضة المتبقية في سوريا[11].

خارطة توضح أماكن انتشار «هيئة تحرير الشام» في مدينة إدلب

لكنّ إعلان الجولاني عن قطع صلته بالحركات التكفيرية المعولمة، خاصة تنظيم «القاعدة» لم يكن أمراً يسيراً، إذ عايشت «هيئة تحرير الشام» ما بين عامي (2017 - 2018) عديدًا من المشكلات والتحديات في معاقلها في الشمال السوري، بدءًا من الصدام مع «القاعدة»، مرورًا بالمواجهة مع الجيش السوري، فضلًا عن تكبد خسائر واسعة النطاق في الأراضي الواقعة تحت سيطرة «الهيئة»، والاغتيالات لقادة بارزين فيها، وحدوث انشقاقات كبيرة في صفوفها، وانتهاءً بالصراعات والمواجهات البينية مع بقية الجماعات المتطرفة الأخرى[12]، بالإضافة إلى تصنيف «هيئة تحرير الشام» من قبل الولايات المتحدة الأمريكية والأمم المتحدة وغيرهما كمنظمة إرهابية أجنبية، أعقبه إعلان وزارة الخارجية الأمريكية عن مكافأة تصل إلى 10 ملايين دولار مقابل معلومات تؤدي إلى تحديد هوية الجولاني أو مكانه[13]، واستشهدت الوزارة بما أسمته بـ«الرؤية الطائفية العنيفة» لجماعته، وأكدت أن الهدف النهائي له يتمثل في تأسيس دولة تقوم على الشريعة الإسلامية في جميع أنحاء سوريا، ووسيلته في ذلك الهجمات الانتحارية التي قتلت عديدًا من المدنيين السوريين الأبرياء[14].

وتبقى الإشكالية الكبرى لدى الجولاني وهيئته، والمتعلقة بالطموحات السياسية والعسكرية التي تتجاوز فكرة قيادة «مجموعة متطرفة»، وهي إشكالية تطرح النوع نفسه من المعضلات السياسية التي أزعجت الحكومات الغربية تجاه الجماعات المشابهة الأخرى التي تمارس السياسة، مثل حركتي «حماس»، و«طالبان»[15].

وفي هذا السياق، ومع التحولات التي عايشها الجولاني وهيئته، حدث متغير جديد بين الغرب والجولاني، أفصح عنه «جيمس جيفري» المبعوث الأمريكي السابق للملف السوري حين أشار في أغسطس 2018 إلى أن واشنطن أوقفت استهداف الجولاني مباشرة[16]، وهو ما يفسر مناورات الجولاني على مدى السنوات القليلة الماضية، والتي اتسمت بالبراغماتية السياسية، فيما بدا وكأنه اتجاه جديد وطور مختلف يمزج بين الخطاب الديني المتطرف والعمل السياسي، على غرار تجارب أخرى راهنة أبرزها حركة طالبان في أفغانستان، لذا يمكن النظر إلى تلك التحولات للحالة «السلفية التكفيرية» في الساحة السورية على أنها واحدة من أهم مؤشرات التغير داخل المعسكر «السلفي التكفيري» الأوسع[17].

الجولاني من التكفيرية "المعولمة" إلى التكفيرية "المحلية"

أولًا الجولاني بين داعش والقاعدة (النصرة، فتح الشام)

يمثل أحمد الجولاني والمكنى بـ «أبو محمد» قائد القوة الأكثر هيمنة في إدلب، انطلاقًا من قاعدته في الركن الشمالي الغربي من سوريا -كما سنبين لاحقًا-، وهو ينتسب إلى عائلة تنحدر في الأصل من مرتفعات الجولان السورية المحتلة، نزح جده من الجولان عام 1967 بعد احتلال القوات الإسرائيلية للمنطقة بسنوات، وعايش الانتفاضة الفلسطينية الثانية في أوائل القرن الحادي والعشرين[18].

ويمكن القول، إنه وعلى مدى أكثر من عقدين من الزمن، شكّلت مسيرة الجولاني خارطة طريق للتطرف العنيف ما بين سوريا والعراق منذ أن انضم للقتال ضد القوات الأمريكية في العراق[19]، حيث كان الجولاني يبلغ من العمر 21 عامًا تقريبًا عندما انضم إلى تنظيم «التوحيد والجهاد»، والذي عرف لاحقاً بـ «قاعدة الجهاد في بلاد الرافدين» بزعامة أبو مصعب الزرقاوي، والذي اعتمدت تكتيكاته على الهجمات الانتحارية ضد القوات الأمريكية والمدنيين العراقيين[20]. ويزعم الجولاني أنه كان يعارض هذه التكتيكات، حيث كان أحد أهداف الزرقاوي الأساسية في العراق هو مهاجمة المدنيين بهدف إشعال فتنة مذهبية[21].

وفي عام 2005 اعتقل الجولاني على أيدي القوات الأمريكية في الموصل، وأمضى معظم السنوات الخمس التالية في السجن في معسكر «بوكا»، الذي خرجت منه معظم الأسماء البارزة من متطرفي تنظيم «القاعدة»[22].

ومنذ اعتقاله في سجن «بوكا» جنوبي العراق، أبدى الجولاني اهتمامه بالمشهد السوري، وكتب وثيقة تحث على نقل نشاطات التنظيم الإرهابية من العراق إلى سوريا، وتشير العناوين والمحاور التي حملتها الورقة إلى أنها كانت أشبه بالورقة البحثية، نظرًا لما تضمنته من صفحات احتوت تاريخ سوريا وجغرافيتها وتنوعها الطائفي، وتاريخها السياسي المعاصر[23].

صورة لمعتقلين في معسكر بوكا – مدينة البصرة – أرشيفية

وعلى الرغم من أنه حينما أُفرج عنه، عُيِّن من قبل «القاعدة» كقائد لها في الموصل، إلا أنه لم يكن يريد البقاء في العراق، ولم يكترث بالمهمة الجديدة، راغبًا في الانتقال إلى سوريا، حيث اقترح أثناء لقاءه مع أحد قيادات «القاعدة» في الموصل، الذي كان يعرفه في سجن «بوكا» ويدعى «أبو مسلم»، أن يرسل ورقته التي كتبها أثناء وجوده في السجن، والمتضمنة جميع أفكاره عن سوريا، إلى أبي بكر البغدادي، الزعيم الجديد لتنظيم «داعش» في ذلك الوقت[24].

لكنّ خلافاً نشب بين البغدادي وبعض من قياداته على مجمل الأفكار التي حملها وعرضها الجولاني، أفضت إلى انضمام عدد قليل لم يتجاوز بضعه أفراد فقط للانتقال معه إلى سوريا، إضافة إلى دعم مالي قُدِّر ما بين 50 - 60 ألف دولار شهريًّا لفترة قاربت 6 أشهر، واللافت أن الجولاني كانت له ملاحظات مهمة تجاه البغدادي، تمثلت في تأكيده على أنه لم يكن لديه الكفاءة التامة لتحليل المواقف، أثناء مناقشته والحديث معه، فضلًا عن افتقاده للشخصية القوية -حسب وصفه[25].

وفي أغسطس 2011، عاد الجولاني إلى سوريا قادمًا من العراق بعد تصاعد الأزمة في جميع المناطق السورية، ونجح في تشكيل مجموعة من العناصر الذين مثلوا فيما بعد نواة «جبهة النصرة»[26]، وفي أوائل إبريل 2013، أعلن أبو بكر البغدادي أن «جبهة النصرة» ستندرج تحت مظلة تنظيم «داعش»[27]، في حين أكد الجولاني في تصريحات له، أنه لم يكن لديه علم بهذا الإعلان من قبل ولم يسمع به إلا من خلال وسائل الإعلام، وبعد ذلك تصاعد الحديث عن خلافات بين الجولاني والبغدادي أسفرت عن إعلان زعيم «جبهة النصرة» لولائه وتبعيته لتنظيم «القاعدة».

ويشير الجولاني في هذا السياق أنه حينما انفصل عن «داعش» لم يكن أمامه خيارات أخرى، حيث اجتمع بالدائرة الداخلية الخاصة به وعرض عليهم مبايعة «القاعدة»، لكن انقساماً حدث تجاه هذا التحول، ونصحه البعض بالعدول عن هذه الفكرة، لكن الجولاني أصر على موقفه، مبرراً ذلك بعدم تمكن أي من المحيطين به من إعطائه بديلًا ثالثاً، إلا أنه في ذات الوقت اشترط على اتباعه ومن حوله من قادة «جبهة النصرة» عدم استخدام الأراضي السورية منطلقاً لتنفيذ العمليات الخارجية، فضلًا عن عدم السماح للآخرين باستخدامها للغرض ذاته، مع التركيز على مواجهة النظام وحلفائه في سوريا[28].

أحد أفراد جبهة النصرة في سوريا – يوليو 2014 – المصدر: AFP

وبهذه الخطوة التي أقدم عليها الجولاني انتقلت «جبهة النصرة» إلى خارج فلك «داعش»، أو بمعنى أدق أعادها الجولاني مرة أخرى لفلك «القاعدة»، وهو ما أثار حفيظة «داعش»، وساهم في تأسيس واحد من أكبر الخلافات في صفوف الحركة التكفيرية المعولمة، خاصة بعد وقوع أحداث دامية من الاشتباكات المسلحة والاقتتال الداخلي العنيف بين الطرفين، وانشقاق عدد من أعضاء «جبهة النصرة»، من ضمنهم عدد من المقاتلين الأجانب، للانضمام إلى «داعش»[29].

والملاحظ أنه ومع إعلان «جبهة النصرة» رسميًا تبعيتها لتنظيم «القاعدة» في 23 يناير 2012، أصبحت الجماعة منظمة قوية، واجتذبت متعاطفين من الشرق الأوسط وشمال إفريقيا والولايات المتحدة الأمريكية وأوروبا، وخلال فترة وجيزة، أصبحت واحدة من أقوى وأهم الجماعات المسلحة المناهضة للنظام[30]، وعملت على جمع الإيرادات من الضرائب ومصادرة الأصول في المناطق الخاضعة لسيطرتها، كما سنبين لاحقًا[31].

وانتقل الجولاني بعد ذلك إلى مساحة جديدة حاول من خلالها العمل مع بقية الجماعات المسلحة الأخرى المناهضة للنظام، خاصة الجماعات السلفية التي تتفق معه في الأيديولوجية السلفية التكفيرية، مثل «حركة أحرار الشام الإسلامية» وغيرها[32]، ففي أواخر مارس 2015، اشتركت «جبهة النصرة» مع تلك الجماعات في غرفة عمليات مشتركة تسمى «جيش الفتح» للسيطرة على محافظة إدلب، وظهرت دعوات لإنشاء إدارة عسكرية وسياسية موحدة لتلك الجماعات[33].

لكنّ تبعية الجولاني لتنظيم «القاعدة» بقيت عقبة كبرى في سبيل تحقيق ذلك الهدف، خاصة بعد أن دخلت روسيا على خط الأزمة، في نهايات عام 2015، حيث تولد شعور لدى الجولاني أنه من أجل ضمان الاستمرار في العمل مع بقية الجماعات المتطرفة، فلا بد من القيام بمجهود أكبر وأكثر جدية في سبيل توحيدها[34].

وعليه، لم يلبث الجولاني أن اتجه نحو فك الارتباط مع القاعدة في 28 يوليو 2016، وغيَّر اسم «جبهة النصرة» إلى «جبهة فتح الشام»، ومثَّل هذا الحدث نقطة تحول مهمة ورئيسة في مسيرة تحولاته[35]، ومن جانبها، لم تنتقد قيادة «القاعدة» هذا التحول، رغم أنه لم يأت بالتشاور مع الظواهري، ووافق (أحمد حسن أبو الخير) الذي كان يعرف آنذاك بـ«نائب الظواهري في سوريا» على هذا الإجراء وباركه. ويبدو أن قبول ذلك التحول لم يتعدّ في نظر «القاعدة»، محاولة خداع قام بها الجولاني لينفك من خلالها ظاهريًّا عن التنظيم، ويحتفظ عبر التشكيل الجديد «جبهة فتح الشام» بعلاقات سرية مع الظواهري[36].

وجاء بيان «أبو الخير» في ذلك الوقت مُعبرًا عن هذا التوجه، عبر إشارته إلى ضرورة الوحدة والتعبئة وتلافي الانقسام، موجهًا خطابه إلى ما أسماها بالقيادة المركزية لجبهة النصرة للمضي قدمًا بما يحفظ مصالح الإسلام والمسلمين، ويحمي «جهاد أهل سوريا»[37].

وبالفعل مكّن هذا التحول الجولاني من المضي قدمًا في المفاوضات مع الجماعات المتطرفة الأخرى التي عارضت العلاقات الرسمية لجبهة النصرة بالقاعدة، وبحلول عام 2016 كانت «جبهة فتح الشام» أنجح امتياز لتنظيم «القاعدة»، وسرعان ما أصبحت «الجبهة» واحدة من أكثر الجماعات المتطرفة نشاطًا في سوريا[38].

لكن ما ظهر من الجولاني بعد ذلك يشير إلى أن خطواته جاءت في سياق مراوغة «القاعدة» بهدف تجنب ردَّات فعلها، ومن أجل ضمان العبور الآمن نحو مخططاته، خاصة وأن الجولاني لم يحصل من «القاعدة» على ما كان يطمح إليه، وهو ما أكده الجولاني بعد ذلك من أن «القاعدة» لم تقدم أي دعم مالي أو عسكري لجماعته، فالجولاني كان يتطلع لما هو أكبر من مجرد التبعية الرمزية لتنظيم «القاعدة»، وكشف عن نقطة الضعف الرئيسة للتنظيم من خلال الإشارة إلى أنّ قيادة «القاعدة» المتمثلة في زعيمها السابق، أيمن الظواهري كانت بعيدة ومعزولة، وذات موارد محدودة أيضًا، وكل ذلك يتقاطع مع ما ألمح إليه القيادي السابق في تنظيم «القاعدة» (أبو الحارث المصري)، من أن الخطابات المتبادلة بين التنظيم الأم والجولاني كانت تستغرق وقتا طويلًا يصل إلى ثلاثة أشهر لوصولها إلى الظواهري، وثلاثة مماثلة للعودة، وكان ذلك في ظل وقائع جديدة ومتسارعة لا تتحمل تلك الإطالة والتأخير.

ولذلك كان الولاء للقاعدة يتعلق بشكل أكبر بالتبعية الرمزية وحمل «العلامة المميزة» أكثر من التسيير المباشر من القيادة المركزية في الخارج[39].

ثانيًا تأسيس التكفيرية "السورية" المحلية (هيئة تحرير الشام)

في أواخر يناير 2017 أعادت «جبهة فتح الشام» تسميتها مرة أخرى عندما اندمجت مع عدة مجموعات أخرى ضمت (جبهة أنصار الدين، وحركة نور الدين الزنكي، ولواء الحق، وجيش السنة) لتأسيس «هيئة تحرير الشام».

ويُمكن القول إن تلك المرحلة شهدت تحول موقف «القاعدة» فيها من المباركة والتأييد إلى إصدار البيانات والتصريحات المنددة، من أكبر رأس في التنظيم إلى قيادات الصف الأول، باعتبارها ناكثة ليمين الولاء، حيث عدَّ الظواهري ما حدث «انتهاكًا للعهد»[40]، واعتبر القيادي في القاعدة (سامي العريدي) هذا التحول عصيانًا للظواهري[41]، وانتقد المنظِّر (أبو محمد المقدسي) ابتعاد الهيئة عن القاعدة، معتبرًا هذا القرار بمثابة تمييع للمنهج الأصلي للتنظيم، وعلى أثر ذلك قام العديد من أنصار الجولاني البارزين بمغادرة «هيئة تحرير الشام» تمامًا.

لكن الجولاني قام في أواخر خريف 2017 باعتقال بعضًا من قادة «القاعدة» وقدامى المحاربين الذين اشتكوا مناوراته، والذين انخرط بعضهم بعد إطلاق سراحهم في إنشاء فرع جديد للقاعدة في سوريا تحت مسمى «حراس الدين»، الذي أُعلن عن وجوده لأول مرة في فبراير 2018[42]. وبذلك، لم يعد يربط الجولاني والظواهري أي صلة تنظيمية توجب عليه التبعية الفكرية والتنظيمية للقاعدة، ومنذ ذلك الوقت أصبحت إدلب مركز عمليات «الهيئة» الذي تدير من خلاله عملياتها في سوريا[43].

وعمل الجولاني في السنوات التالية لفك الإرتباط مع القاعدة، على إضفاء الطابع المؤسسي على الهيئة، وأعلن عن أهدافها الرئيسة المتمثلة في شن الهجمات الإرهابية ضد النظام، وإخراج المجموعات المرتبطة بإيران، وإقامة «حكم إسلامي» في سوريا[44]، في محاولة منه نحو التغلب على انعدام الثقة لدى الفئات الأكثر اعتدالًا من السكان المحليين، وبهدف التجذر مجتمعيًّا شيئًا فشيئًا[45]، واتخذ خطوات نحو تعزيز الحاضنة المجتمعية.

وقد نجح الجولاني في بسط سيطرته على أكثر من 90% من محافظة إدلب، إلى جانب الأجزاء المتاخمة لمحافظات شمال حماة وغرب حلب، ولكن خلال عام 2019، كثف الجيش السوري من هجماته ضد الجماعات المتطرفة والإرهابية في محيط إدلب، مما أدى إلى تراجع السيطرة العسكرية والسياسية «لهيئة تحرير الشام»[46].

ثالثًا تداعيات تحولات الجولاني وهيئته مع الجماعات التكفيرية الأخرى

صاحب التحول الأيديولوجي لهيئة تحرير الشام، معارك مع خصومها السياسيين، وعلى أكثر من صعيد، فكرياً وميدانياً، خاصة بعد أن همش الجولاني أو طرد معظم الأصوات المخالفة له برغم مشاركته الأيديولوجية لها، ما جعلها تميل إلى التكفيرية المحلية على حساب التكفيرية المعولمة العابرة للحدود[47].

ومع ذلك، لا تزال علاقة الهيئة مع الجماعات التكفيرية المتطرفة غامضة، فعلى الرغم من معركته «الصفرية» مع خلايا «داعش» النشطة في إدلب، نجد أن مواجهته مع فروع القاعدة مثل «حراس الدين» أقل حدة، حيث عمل على التنسيق معها في بعض الأوقات لمواجهة الهجمات التي تشنها قوات الجيش السوري، وما زاد الريبة أكثر تجاه الجولاني إبقائه على جماعات متطرفة في المناطق الخاضعة لسيطرته، وعدم طردها منها، مثل «الحزب الإسلامي التركستاني» المكون من الإيجور الانفصاليين المناهضين للحكومة الصينية[48].

وقد برر الجولاني من جانبه تلك الإجراءات بسعيه لاحتواء «حراس الدين» لضمان عدم استخدامهم الأراضي الخاضعة لسيطرته كنقطة انطلاق لتنفيذ عمليات خارجية، فضلًا عن اعترافهم بما أطلق عليه حكومة «الإنقاذ» المحلية التي أسسها بهدف إدارة المناطق الخاضعة لسيطرته في إدلب، وخضوعهم لمحاكمها وعدم إنشائهم محاكم شرعية خاصة بهم[49]، وفيما يتعلق بـ «الحزب الإسلامي التركستاني» يشير الجولاني إلى أن الحزب موجود في سوريا منذ سبع سنوات، ولم يشكل أي تهديد يذكر للعالم الخارجي، وأنه ملتزم فقط بالدفاع عن إدلب، مضيفاً أن لدى التركستانيين مظلومية من قبل الصين، وليس لديهم مكان آخر يذهبون إليه[50].

إشكالية العلاقة بين الجولاني والظواهري

تدرج الجولاني في كثير من الأمور الشكلية والصفات الحركية فضلًا عن الظهور إلى العلن، ففي بداية وجوده في سوريا عمل على عدم إبراز هويته والكشف عن ملامح شخصيته لأسباب تتعلق بالطبيعة المرحلية.

ففي بداية تأسيسه لجماعته، كان أكثر حذرًا، وخلال الوقت الذي كان فيه أمير «جبهة النصرة» والملقب آنذاك بـ«الفاتح»، كان حريصاً على الإعلان عن علاقته الوثيقة بتنظيم «القاعدة» والحديث بثقة أنه حي يرزق، فضلًا عن حضوره الدائم وظهوره ملثمًا أو غير مكشوف الوجه، مرتدياً الزي الشامي التقليدي في محاولة منه إظهار التواضع والانتماء المحلي والزهد.

وحين تضاربت مصالح الجولاني مع تنظيم «القاعدة»، وشعر أن ثمة أعباء تثقل كاهله، تبرأ من التنظيم وقام بتنويع ما يرتديه ويظهر به في وسائل الإعلام المختلفة خاصة الغربية منها، كما حدث في مقابلة أجراها مع الصحفي الأمريكي مارتن سميث، ظهر خلالها ببدلة رسمية على الطراز الغربي، بعد أن قام بتغيير لقب «الفاتح» إلى «زعيم»[51].

أبو محمد الجولاني في مقابلة مع الصحفي الأمريكي مارتن سميث - فبراير 2021

جاءت تحولات الجولاني كجزءاً من رؤيته الجديدة وقناعته أن ذلك سينعكس إيجابًا عليه، وقد يمكّنه من إقامة علاقات مع جماعات مُسلحة وراديكالية أخرى، ومع «اللاعبين الدوليين» وخاصة في المناطق المتاخمة لمحافظة إدلب، واستمراراً لذلك قام بتأدية دور الشرطي في مواجهة «القاعدة» و «داعش» وغيرهم من المتطرفين، ما ساهم في اتساع الفجوة وتزايد العداء بين الظواهري وتنظيمه من جهة، والجولاني وهيئته من جهة أخرى[52].

كما مضى الجولاني قدمًا نحو ترسيخ وجوده العسكري بعد نجاحه في استيعاب الجماعات المتطرفة الأخرى تحت مظلة «هيئة تحرير الشام»، في موازاة تبنيه موقفًا عنيفًا تجاه رفاق الأمس خلال سعيه لإثبات صدق انفصاله عن تنظيم «القاعدة»، ففي يونيو 2020 فككت هيئة تحرير الشام غرفة العمليات العسكرية لفرع القاعدة السوري «حراس الدين»، بعد إغلاق قواعدهم العسكرية، وقتل واحتجاز عدد من كبار قادتهم مثل (أبو القسام الأردني) و(أبو محمد السوداني) وغيرهما، وهو ما تم تفسيره باعتماد الجولاني لسياسة العصا والجزرة

في التعامل مع تنظيم «القاعدة» من خلال احتواء من ينسجم معه منهم، واستهداف كل من يحول دون ذلك، وهو ما زاد من حنق الظواهري عليه[53].

ولم يتبق من ترابط الجولاني مع الشبكات التكفيرية المعولمة، وتحديدًا تنظيم «القاعدة» إلا تاريخ مضى، وذلك بعد أن قُتل معظم القادة السابقين المرتبطين بهذه الشبكة قبل تحول «جبهة تحرير الشام» إلى «هيئة تحرير الشام»، أما المتطرفين العرب والأجانب في سوريا من غير المرتبطين بتنظيم «القاعدة»، والذين حملوا انتقادًا ضمنيًّا لخيارات الجولاني الجديدة، فقد تعرضوا للتهميش[54]، ولا يزالون يتعرضون للمطاردة من قبله حتى اللحظة.

شكل العلاقة بين الجولاني و"القاعدة" بعد مقتل الظواهري

يأتي مقتل زعيم تنظيم القاعدة أيمن الظواهري في غارة أمريكية بطائرة مسيرة في العاصمة الأفغانية «كابل»، لتدخل معها كل من القاعدة والجولاني مرحلة جديدة ومغايرة عن سابقتها، سواء أكان على مستوى تنظيم القاعدة ككل أو من حيث العلاقة بين الجولاني وهيئته وتنظيم القاعدة وانعكاسات مقتل الظواهري على واقع تجربته في الشمال السوري من جهة أخرى.

وعلى الرغم من نأي الجولاني بنفسه عن القاعدة- كما أبرزنا سابقاً – وفك ارتباطه بالتنظيمات الجهادية المعولمة، إلا أن مقتل الظواهري قد ينعكس إيجابًا على زعيم هيئة تحرير الشام بقدر كبير، خاصة في الجغرافية السورية، وذلك لما سيحدثه مقتل الظواهري من ضعف شوكة وتراجع قوة التمثلات التنظيمية والجماعاتية القاعدية في سوريا، وذلك على المستويين الفكري والأيديولوجي المتعلق بأولويات المرحلة ما بعد الظواهري والنزاع حولها، والعسكري العملياتي «الميداني» الذي سيتأثر بدرجة كبيرة نتيجة غياب القيادة الفاعلة والداعمة، خاصة من ناحية التمويل والدعم المالي.

وفي موازاة ذلك، يفتقد تنظيم القاعدة ما بعد الظواهري خلفاء له وبدلاء يتمتعون بذات الصخب والشخصية الكاريزماتية وما اتسم به كل من زعيما تنظيم القاعدة السابقين أسامة بن لادن وأيمن الظواهري، ويمكن القول إن ما يتمتع به الجولاني من حضور لافت على المستويات السياسية والعسكرية والطرح الفكري باللحظة الراهنة، منطلقاً من الجغرافية السورية ومتشابكا مع الواقع المحلي والإقليمي والدولي من حوله، يجعله الشخصية المُتطرفة الأكثر حضوراً والوجه الأشد بروزًا عن غيره من كافة القادة والأمراء على مستوى التنظيمات الإرهابية المعولمة، خاصة بعد مقتل الظواهري.

ويدفع ذلك الجولاني إلى أن يتعدى تأثيره السياسي وقدرته على عقد الصلة بينه والتنظيمات المتطرفة الأخرى، وأفرادها ومقاتليهم المنضويين تحتها، وتحديداً من أنصار القاعدة السابقين الذين يقفون حائرين بعد مقتل الظواهري أيُّ الطرق يسلكون؟ خاصة بعد اضطراب العلاقة بين التنظيم وحركة طالبان الأفغانية، وتنامي شعور أن ثمة خللاً أصاب هذه العلاقة، وانعدام الثقة لمقتل الظواهري في قلب العاصمة الأفغانية «كابول» في ظل حكم الحركة، وتحت أعين أجهزتها العسكرية والأمنية.

إن انحسار التأثير الداعشي في الجغرافية السورية، ووقف تمدد تنظيم القاعدة وتمثلاته الفكرية والتنظيمية هناك يعطي للجولاني فرصةً سانحةً على كافة المستويات لبسط سيطرته الفكرية والسياسية والعسكرية والمجتمعية على مجمل الأراضي الخاضعة لسيطرته في الشمال السوري، وسيسعى الجولاني بشكل أو بآخر نحو استثمار هذا السياق الجديد الذي سيتمخض عن مقتل الظواهري فيما يخدم طموحاته وأطماعه التي تتجاوز قدراته ومساحات تحركه، وفي الوقت نفسه يصعب القول إن مرحلة ما بعد الظواهري قد تشهد علاقة بين الجولاني والقيادة الجديدة لتنظيم «القاعدة»، بذات الشكل الذي كانت عليه مع الظواهري -قبل الانفكاك مع القاعدة – والقائمة آنذاك على تراتبية القائد والتابع، حيث الواقع الجديد الذي فرضه مقتل الظواهري من جهة، والقوة التي أضحى عليها الجولاني من جهة أخرى، يجعل شكل العلاقة المستقبلية بينه وبين قائد تنظيم «القاعدة» القادم تقوم على الندية والتنافسية، من منطلق كونهما قائدين مُتكافئين، ينتميان لـ «الجهادية العالمية» على اختلاف توجهاتهما الفكرية.

استراتيجية الجولاني وأفكاره السياسية والتنظيمية والعقدية

أولًا الانفكاك عن التكفيرية العالمية

على الرغم من أن «هيئة تحرير الشام» لا تزال ملتزمة بتأسيس «دولة إسلامية» نظريًا، إلا إنها رفضت عمليًّا تطبيق المفاهيم الأيديولوجية السلفية التكفيرية، وسعت نحو إعادة تدويرها بما يتواءم مع سياقات التحول إقليمياً ودولياً، من خلال الالتفاف حول تلك المفاهيم سياسيًّا أو مجتمعيًّا ودينيًّا.

وبهذه الاستراتيجية باتت الهيئة أقرب في ممارساتها إلى جماعات «الإسلام السياسي» المحلية مثل حركة حماس في قطاع غزة على سبيل المثال، فقد أسس الجولاني لطرحه الجديد انطلاقًا من امتلاكه لفهم أكثر براغماتية للحالة السورية والأوضاع الإقليمية، مقارنة بداعش والقاعدة على الجانب المقابل[55].

وفي سبيل ذلك عمل الجولاني جاهدًا على خلق بعض من الاستقرار المجتمعي في المناطق الخاضعة لسيطرته من خلال تأسيسه لحكومة تكنوقراط كنمط إداري مدني يهدف إلى تسيير أمور السكان وإضفاء الطابع المؤسسي على السلطة الدينية في الأجزاء الخاضعة لسيطرته من إدلب ومحيطها[56].

كما وثق علاقته بالأعيان وشيوخ العشائر، وحرص على التواجد عن مقربة مع أبناء القتلى من جماعته، وأحيانًا مع النشطاء والإعلاميين، رغبة منه في فك العزلة والحصار عن المناطق لسيطرته، ما يتيح لإدلب تحت زعامته تواصلًا أفضل مع العالم الخارجي[57].

وانتهج الجولاني سياسة استطاع من خلالها خلخلة الصور النمطية عن قادة التنظيمات المتطرفة، بتعزيز ظهوره الإعلامي وتنوعه، سواء بالتواصل مع الإعلام العربي والغربي الإقليمي والمحلي، أو من خلال أدواته الإعلامية التابعة للهيئة، بخلاف ما كان معتادًا من قبل بقية القادة المتطرفين الآخرين الذين كانوا يظهرون مسلحين في الجبال والكهوف بطريقة تعزز الصور النمطية عنهم في وسائل الإعلام[58].

ويطمح الجولاني في الوقت الراهن، وبعد أن تحققت لديه قوة عسكرية على الأرض، ووجود سياسي ومجتمعي مدني من خلال ما أطلق عليها «حكومة الإنقاذ»، فضلًا عن إعادة هيكلة «هيئة تحرير الشام» إلى تحقيق أمرين، **أولهما**: تأسيس حزب سياسي يضمن له دوراً مؤثراً في مستقبل سوريا؛ **وثانيهما**: الاعتراف به دوليًّا.

ومن أهم أدوات تحقيق ذلك الآلة الإعلامية القوية التي يمتلكها، والتي تعمل على تصدير وجه جديد له بوصفه «رجل دولة» ذو خبرة في السياسة، ولاعب يمكنه قلب الأوراق لصالحه»[59].

ثانيًا السياسة الشرعية ورهانات الواقع المحلي

قّدم الجولاني نموذجًا سياسيًّا زاوج خلاله بين الأصولية السلفية ذات الطابع التكفيري ورهانات الواقع المحلي في سياق المشهد السوري، فوضع على عاتقه منذ ظهور «جبهة النصرة» إقامة دولة إسلامية يصفها بأنها قائمة على «شريعة الله بكل ما تحمله الكلمة من معنى، دون مساومة أو تهاون أو مراوغة أو تحايل» حسب تصريحات له[60].

ويشير الجولاني إلى أن هذه الأجندة الإسلامية التي يحملها تختلف بشكل كامل ومستقلة عما يطرحه تنظيم «القاعدة» من أفكار وما يسعى إلى تحقيقه من أهداف، فتلك الأجندة، وعلى الرغم من اشتراكها مع «القاعدة» في قضية «الأسلمة»، إلا أنها محلية بحتة، وليست عابرة للحدود، ويؤكد الجولاني مرة أخرى، أنه وعلى الرغم من تأثره بالبيئة السلفية المتطرفة أثناء وجوده في العراق، فقد تخلى عن الطموحات العابرة للحدود، مع التركيز على حكم المنطقة الخاضعة لسيطرته[61].

وبدى وكأنّ الجولاني يستنسخ تجربة كل من حركتي حماس وطالبان، في عقد صلة بين شخصيته وبين جماعته وبين واقعه المحلي، حيث عمل على تقديم الضروريات الأساسية التي يحتاج إليها الناس للبقاء على قيد الحياة مثل الطعام والماء، والرعاية الطبية والتعليم والأمن، وهي أمور أسهمت في تعزيز وجوده على نحو سريع[62].

ومثّلت قضية الاستقرار لدى الجولاني غاية مهمة داخل المناطق الخاضعة لسيطرته، حيث سعى لإظهار قدرته على «الإدارة السياسية»[63]، وفي سبيل ذلك، عمل على تأسيس ما أطلق عليه «حكومة الإنقاذ» شبه التكنوقراطية التي رغب من خلالها تأسيس كيان يسهّل له التعاون مع المنظمات الدولية والتنسيق مع الدول الغربية[64].

ويهدف الجولاني للتأكيد على أن «هيئة تحرير الشام» لديها تغير حقيقي في أهدافها ومواقفها وسلوكها السياسي، حيث قدَّمت الجماعة في سبيل ذلك خطوات مهمة وإجراءات ملموسة، مثل وقف الهجمات على قاعدة «حميميم» الجوية الروسية والمناطق التي يسيطر عليها الدولة خارج إدلب، ومنع الهجمات التي تشنها المجموعات التكفيرية الأصغر والأكثر تشددًا، وضبط الالتزام بوقف إطلاق النار، والامتناع عن التدخل في عمل المنظمات الإنسانية[65]، وهو ما أكده الجولاني في أحد لقاءاته الإعلامية في استعداده لتسهيل عمل أي منظمة ترغب في العودة للعمل في إدلب، مع تعهده بعدم التدخل في شؤونها[66].

لكن في سياق آخر، ورغم دعوات الجولاني المستمرة في خطاباته ضد الدولة السورية والوجود الإيراني والروسي، إلا أن موقف «هيئة تحرير الشام» من التسوية النهائية للأزمة السورية لا يزال غير واضح[67].

ثالثًا الحكم الإسلامي والتدرج في تطبيق الشريعة

إن المتتبع للمحطات التاريخية لمسيرة الجولاني خلال السنوات الماضية، وخاصة منذ تأسيسه لـ «جبهة النصرة»، يلاحظ أنّ النجاحات التي حققها ترجع في مجملها إلى الانضباط القوي، مع قدر لا بأس به من البراغماتية.

فعلى الرغم من ربطه بين تأسيس «جبهة النصرة» وإقامة الحكم الإسلامي كمقدمة لإقامة «خلافة إسلامية» على المدى الطويل، إلا أنه لم ينتهج طريقاً صارمًا في تطبيق الحكم الإسلامي وتثبيت دعائم الشريعة، واتبع منحى تدريجيًّا، بخلاف تنظيم «داعش» الذي جعل من تلك المقولات الأصولية دعامة مركزية يستحيل قيام الدولة الإسلامية إلا باستئناف العمل بها.

إذ أعطت «هيئة تحرير الشام» الأولوية لتحقيق الأمن واستغلال الموارد الاقتصادية لسد حاجات السكان، والعمل على تأسيس المرافق والأبنية الخدمية من مستشفيات وعيادات صحية ومراكز حكومية، وذلك على حساب قضايا تطبيق الشريعة كالفصل بين الجنسين وفرض النقاب وتطبيق الحدود من قطع يد السارق ورجم الزاني وغيرها، مما دأبت عليها التنظيمات التكفيرية المتطرفة في السنوات الأخيرة.

وحتى قبل ذلك، نجد أن «جبهة النصرة» اتبعت في بداية تأسيسها مقاربة براغماتية في محاولة منها لإقامة علاقة جيدة مع السكان المحليين في سوريا، وهو ما انعكس على هيكلها العسكري الذي جذب العديد من المجندين المحليين والأجانب مقارنة بغيرها من الجماعات المتطرفة الأخرى[68].

وفي هذا السياق انعكس إضفاء الطابع المؤسسي لسلطة «هيئة تحرير الشام» على العمل العسكري لها، حيث همش الجولاني معظم المجندين الأجانب، سواء أكانوا داخل صفوف «الهيئة» أو خارجها، وضمن ألا يمثل أولئك المجندين مركزًا مستقلًا للسلطة داخل المناطق الخاضعة لسيطرته، ورهن وجودهم بالقبول بالتوجه الاستراتيجي لقيادته ورؤيته في تدبير الشأن العام والخاص سياسيًّا وعسكريًّا ومجتمعيًّا[69].

كما كان من الأهداف الرئيسة لهيكلة «هيئة تحرير الشام» وإضفاء الطابع المؤسسي على سلطتها الدينية/السياسية، منع الانشقاقات الداخلية التي تنشأ كردة فعل على التحولات الفكرية والأيديولوجية التي صاحبت مسيرة الجولاني، وللحدّ من التأثير الفكري للقيادات التكفيرية التقليدية، خاصة في قضايا الحاكمية والولاء والبراء، وهي القضايا التي يسعى الجولاني إلى الفكاك منها ليتمكن من اللعب السياسي بحرية أكبر، فأدبيات «أبو محمد المقدسي» وغيره من المنظّرين التكفيريين تظل محظورة في معسكرات التثقيف والتدريب التابعة لهيئة الجولاني[70].

كما أن الجولاني عمل على استبدال تلك الأدبيات بنصوص تقليدية تعتمد على أقوال السلف الصالح واجتهادات القرون الإسلامية الأولى، ليس إيمانًا منه بذلك بقدر ما أن النصوص التقليدية الخالية من بصمات المنظرين التكفيريين المعاصرين تناسب تطلعات المرحلة الجديدة واشتراطاتها[71].

وعليه، كان وقع خطوات الجولاني سريعاً في سبيل تحقيق ما يرنو إليه، فمنذ 2018 عمل وفق مسارين اثنين: **أولهما:** طرد المجموعات الإيرانية من مدينتي الفوعة والكفرية، معتمدًا على التعبئة المذهبية الرافضة للوجود الإيراني، **وثانيهما:** تدشينه لحملة عسكرية ضد «داعش» وحلفائها في سوريا، والتي وصفها الجولاني بأنها «عناصر مزعزعة لاستقرار البلاد»[72].

رابعًا سياسة الاحتواء وتصفير المشكلات مع الجماعات المحلية

طبق الجولاني منذ ظهوره كفاعل رئيس على مسرح الأحداث عام 2012 استراتيجية لضبط النفس في تطوير تحالفات مع الجماعات المتطرفة الأخرى والسكان المحليين، تمحورت أهدافها على المدى القريب لإقامة الدولة الإسلامية في سوريا[73].

وحاول بين عامي 2012 و2013 الاندماج مع الجماعات المُسلحة التي يشترك معها في الأهداف ذاتها كلياً أو جزئياً، دون السعي لفرض سيطرته عليها، وقام بتقديم جماعته على أنها «جبهة دعم» توفر للجماعات المتطرفة المحلية المؤازرة والإمداد العسكري، وهذا ما جعل «الجيش السوري الحر» يقترب من جماعة الجولاني في بعض المحطات والمواقف العسكرية[74]، فبحلول نهاية عام 2016، لم يكن الجولاني يسيطر على قطعة واحدة من الأراضي بمفرده، بل تقاسم السلطة مع الجماعات المتطرفة الأخرى في شمال سوريا مثل «حركة أحرار الشام»، وكذلك مع جماعات مسلحة أخرى تحت مظلة «الجيش السوري الحر»[75].

ومع تزايد خبرة الجولاني في قيادة العمل الميداني حدثت تغيرات مهمة في عقيدته السلفية، فهو يتخل عن ملامحها العامة من حيث تشبثه برفض الديمقراطية والعلمانية وغيرها من المفاهيم الغربية الحديثة، مع قبوله بالتدرج في تطبيق الشريعة الإسلامية، إلا أنه يجعل الأخيرة قضية مركزية في استراتيجيته بعيدة المدى[76]، واستخدم في خطابه لغة أقل طائفية من «داعش»، وامتنع عن شن هجمات على خصومه من أبناء الجماعات المتطرفة الأخرى باستثناء القاعدة وداعش[77].

وحتى رغم قيام بعض قادة الجماعات المتطرفة الأخرى بمهاجمة الجولاني والتحريض عليه وعلى جماعته، كزعيم جماعة «فرقة السلطان سليمان شاه» محمد الجاسم «أبو عمشة»، إلا أن ذلك لم يمنع من محاولات تضييق الهوة بين الجانبين[78]، حيث دفعت سياسات الجولاني «أبو عمشة» في سبتمبر 2021 إلى الإعلان عن استعداده للتوصل إلى تفاهم مع «هيئة تحرير الشام»، والتواصل والاندماج المشترك بين الجماعتين في المناطق الخاضعة لسيطرتهم[79]، إلا أنّ تعارض الأساس الأيديولوجي بين «هيئة تحرير الشام» وجماعة «فرقة السلطان سليمان شاه» بقي حجر عثرة في طريق الاندماج الكامل بين الجماعتين[80].

وفي ذات السياق أفادت بعض المعلومات أن قيادات من الصف الأول في «هيئة تحرير الشام» عقدوا اجتماعات في ريف حلب مع قادة الفصائل العسكرية التابعة «للجيش الوطني السوري» المدعوم من تركيا بهدف التقارب والتنسيق، وتأكد ذلك من خلال زيارة القيادي في «الهيئة» جهاد شيخ (المعروف باسم أبو أحمد زكور) إلى بلدة اعزاز بريف حلب، ولقائه بكبار قادة ووجهاء المنطقة في يوليو 2021[81].

وبذلك يكون الجولاني قد نجح إلى حد كبير في الحصول على الدعم -أو على الأقل التسامح- من السوريين الذين لا يشاركون «القاعدة» رؤيتها التكفيرية المعولمة، سواءً من المسلحين على اختلاف توجهاتهم أو من السكان المحليين، واجتذبت بذلك آلاف المجندين إلى صفوفها منذ العام 2016[82].

الجولاني مع أهالي جبل السماق في مدينة إدلب - يونيو 2022

خامسًا المرجعية الفقهية والمذهبية في هيئة الجولاني التنظيمية

ابتعد الجولاني في رسمه لملامح المشهد الديني في المناطق الخاضعة لسيطرته عن الشكل التقليدي للممارسات السلفية التكفيرية المعاصرة، سواء أكان ذلك على مستوى الخطاب أو التطبيق الفعلي على الأرض، وظهر ذلك واضحًا داخل المساجد والهيئات التعليمية وغيرها، فضلًا عن دورات التثقيف الشرعي للمتطرفين والمسلحين التابعين للهيئة وكذلك لسكان المحليين، من خلال تبنّي تدريس المذاهب الفقهية التي تقف منها السلفية التكفيرية المعاصرة، مثل القاعدة وداعش، موقف الخصومة والاختلاف.

وظهر ذلك في إعطاء المذهب الشافعي دورًا مرجعياً كبيراً فيما يتعلق بالمسائل القانونية وذلك لشيوعه في إدلب، واللافت أيضًا أن جماعة «أنصار الإسلام»، وهي جماعة متطرفة متحالفة مع «هيئة تحرير الشام»، تدعم معهد الإمام الشافعي في إدلب[83].

أسهم ذلك في تقليص مساحة الانقسامات البينية بين المذاهب السلفية والتقليدية كما هو الحال في مناطق أخرى تخضع لسيطرة تنظيمي القاعدة وداعش، ومن المؤشرات الدالة في هذا السياق استضافة جامعة إدلب محاضرة عبر برمجية الاتصال المرئي (Zoom) مع المنظر السلفي الأردني إياد القنيبي[84] في إبريل 2022.

وفي أحد مقاطع الفيديو التي نشرتها مجموعة أمجد ميديا التابعة «لهيئة تحرير الشام» في أغسطس 2021، خاطب الجولاني مجموعة من خريجي دورة «القوات الخاصة» ذكر خلالها أنه عندما تغزو «هيئة تحرير الشام» دمشق فإنه سيعمل على تحقيق حكم الإسلام، ما يعني أن الدولة الإسلامية هي الهدف النهائي للجماعة[85].

وما يدفع نحو هذا الاتجاه ما تناوله يحيى بن طاهر الفرغلي (أبو الفتاح الفرغلي) أحد كبار منظري «هيئة تحرير الشام» في سلسلة مقاطع مرئية مصورة ما بين (2019-2020) بعنوان (الطريق إلى الخلافة: تاريخ الحركات الجهادية من الإخوان المسلمين إلى الجهاد الشامي)، أفصح خلالها عن الهدف الذي تقاتل من خلاله جماعة الجولاني، واصفًا تشكيل «هيئة تحرير الشام» في هذه المرحلة بأنها فصل جديد وحلقة أخرى في طريق إحياء الخلافة الإسلامية[86].

دويلة الجولاني.. إدلب نقطة الارتكاز

أولًا مظاهر سلطة الجولاني في الشمال السوري

تتمتع مدينة إدلب في قلب الشمال السوري بأهمية استراتيجية كبري باعتبارها مركز المحافظة، ووقوعها على مقربة من طريق حلب - دمشق الدولي الذي استعادته الدولة السورية مؤخراً، فضلًا عن تجاورها لمحافظة اللاذقية -معقل الطائفة العلوية التي ينتمي إليها الرئيس بشار الأسد-، وفي ذات الوقت تحاذي تركيا التي تتمتع بنفوذ في الأزمة السورية بعد دخولها على خط النزاع من منطلق دعم المعارضة، والعمليات العسكرية ضد «قوات سوريا الديمقراطية» الكردية[87].

وتسيطر الجماعات المسلحة اليوم على ثلاثة آلاف كيلومتر مربع من مساحة إدلب، مقارنة مع تسعة آلاف كيلومتر مربع عام 2017، فمنذ عام 2019 وقعت المحافظة ومناطق محاذية محدودة من محافظات حماة وحلب واللاذقية تحت السيطرة الفعلية «لهيئة تحرير الشام»، قبل أن تتقدم قوات الجيش السوري في جنوبها تدريجيًّا بعد عمليات عسكرية كان آخرها في نهاية ديسمبر 2019، لتتقلص بالتالي مناطق سيطرة «الهيئة» إلى أقل من مساحة إدلب[88].

مع ذلك أحكم الجولاني وهيئته قبضتهما من خلال ما أطلق عليه «حكومة الإنقاذ» على أجزاء من الشمال السوري، وتحديدًا نصف مساحة إدلب، عن طريق تدشين مؤسسات مدنية وأجهزة أمنية وقضائية خاصة، عملت على تنظيم شؤون نحو ما يقارب من ثلاثة ملايين نسمة، وعملت على تنويع مصادر تمويلها من عائدات حركة البضائع عبر المعابر مع كل من مناطق سيطرة السلطات السورية وتركيا، وتحتكر «الهيئة» توزيع الوقود، حيث تبلغ قيمة أرباحها منه نحو مليون دولار شهريًّا[89].

أعضاء ما أطلق عليها «حكومة الإنقاذ» في محافظة إدلب - ديسمبر 2017 - وكالة البراق الإخبارية

ويصف الجولاني علاقته بما أطلق عليه «حكومة الإنقاذ» في إدلب بأنها تقسيم للأدوار، ويزعم أنه لا يتحكم فيها، ولا علاقة له بها باستثناء الفصل في الأمور الأمنية والعسكرية[90]، وتعدّ «حكومة الإنقاذ» بمثابة ذراع سياسي «لهيئة تحرير الشام»، وقد نجحت بالدخول في اتصالات ومفاوضات مع تركيا كان من نتائجها الموافقة على قيام «الهيئة» بحماية بعض نقاط المراقبة الحدودية المشتركة المقررة وفقًا لمحادثات آستانة، التي جرت بين تركيا وروسيا وإيران حول سوريا[91].

ولم تعمد «حكومة الإنقاذ» إلى فرض إجراءات طائفية على المواطنين المسيحيين، فلا يتعين عليهم دفع الضريبة (الجزية) التي يفرضها السلفيون التكفيريون، في محاولة من «الهيئة» لطمأنة الغرب على وضع الأقليات داخل مناطق حكمها؛ فيما يعدّ خروجًا عن الممارسات السلفية التكفيرية الأخرى[92].

مـع الوقـت ازداد نفـوذ «هيئة تحرير الشـام» داخل النسـيج الاجتماعي للشـمال الغربي السـوري، خاصة بعـد مطالبتها القبائـل في إدلب التنسـيق معهـا، وتشـكيل مجالس شـورى لمعالجة الشـؤون والمشـكلات القبلية، بهـدف الحفاظ على سـطوتها وإظهار موقعهـا المهيمن بوصفهـا صانعـة القـرارات فـي إدلـب، وفـي ذات الوقـت تُمكّـن القبائـل مـن الإبقاء علـى دورهـا التقليـدي والمشـاركة في إدارة الشـؤون الاجتماعيـة والقضائيـة، والنقطـة الأبرز في هذا السـياق هو الرغبة المتزايدة لـدى الجولاني في تقديم جماعته على أنهـا تمثّل إرادة «العرب السنّة» في سـوريا[93].

وعليه، أصبحت المناطق الخاضعة «لهيئة تحرير الشام»، أشبه بالدويلة التي تدير شؤونها بمعزل عن بقية المناطق الأخرى من الدولة السورية، فالمشهد داخلها يسير أشبه بالحياة الطبيعية، بعد أن أسس الجولاني من خلال «حكومة الإنقاذ» العديد من الوزارات التي تدير المنظومة الصحية والتعليمية والأمنية والقضائية والاقتصادية[94]، فيما يخضع القطاعان الاقتصادي والأمني على وجه الخصوص للمراقبة المباشرة والدقيقة من قيادة «هيئة تحرير الشام» والمقربين من الجولاني[95]، وفي اللحظة الراهنة هناك ما يقارب نص مليون طالب مسجلين في المدارس الواقعة داخل إدلب، ومستشفيات تعمل بكامل طاقتها في المناطق الخاضعة لسيطرة «الهيئة»[96].

كمـا أقـدم عليـه الجولانـي على إنشـاء نظـام المحاكـم في بدايـات 2015 تحـت اسـم «دار القضاء»، بهدف تسـيير أمـور النـاس القانونية والحكـم فيمـا بينهـم، وذلـك بالتـوازي مع الجلسـات العرفيـة والقبليـة، وكلها تخضع مباشـرة لإشـراف قادة «الهيئـة» ورجالاتهـا الأمنيين والقانونييـن، وعلـى الرغـم من أن هـذه المحاكم لم تلجأ إلى عمليات إعدام واسـعة النطاق مثـل تنظيم «داعش»، إلا أنها نفـذت عددًا كبيرًا مـن العقوبـات الجسـدية المرتبطة بالحدود في الشـريعة الإسـلامية، مثـل عقوبة الإعدام علـى المثلية الجنسـية[97].

في مقابل ذلك، حرص الجولاني على ألا تشـغل النسـاء مناصب سياسـية في ما أطلق عليه «حكومة الإنقاذ»، ولا تزال حقوق المرأة مقيدة بشدة، باعتبار أن ذلك يأتي ضمن الضوابط التي فرضتها الشريعة الإسلامية[98]، كما لم يمنع ذلك كله ملاحظة أن السكان الذين يبلغ تعدادهم أكثر من ثلاثة ملايين نسمة لا يزالون يعيشون في واقع صعب وبائس، حيث يعيش أكثر من ثلثهم في مخيمات مؤقتة، ويعانون من أمطار متجمدة وفيضانات وأمراض وجوع، معتمدين على المساعدات الإنسانية الغربية والإقليمية للحفاظ على الحد الأدنى من شروط حياتهم[99].

ثانيًا المجال العسكري ومصادر التمويل

تمتلـك «هيئـة تحريـر الشـام» قـوة مسـلحة يتـراوح قوامها ما بيـن 12 ألف إلـى 15 ألف عنصـر[100]، فيما تذكـر بعـض التقارير الأخرى أنهـا قـد تصـل إلـى 20 ألـف عنصر، مـن بينهـم 3 آلاف إلى 4 آلاف عنصـر أجنبي[101] قدمـوا من روسـيا وأوروبا وأماكن أخرى في الشـرق الأوسـط، ويشـكلون 30% على الأقل مـن صفوفها.

وقـد سـاهمت المأسسـة التـي شـهدتها «الهيئة» على يـد الجولاني وقيادته الصارمـة لها في جذب كثيـر من المتطرفيـن الأجانب مقارنة بـأي مـن الجماعـات المتطرفـة الأخرى باسـتثناء «داعـش»[102]، وهو ما يفسـر انضمام شـخصيات مـن «القاعدة» مثل محسـن الفضلي وعبـد المحسـن عبد الله إبراهيـم في بداية تأسـيس الجولاني لجبهـة النصرة[103].

ويتمركـز غالبيـة عناصـر «الهيئـة» في محافظة إدلب السـورية، وعلى الرغم من تمتعهـا بوجود عملياتي في محافظـات حلب وحماة ودرعا ودمشـق في سـوريا؛ إلا أن التركيز العملياتي أخذ مـع الوقت طابع المحلية المرتبطـة بمحافظة إدلب[104].

ومنـذ بدايـة نشـاطاته، اعتمد الجولاني أسـاليب عسـكرية عدة، مـن بينها تنفيذ عـدد من التفجيـرات والعمليات الانتحاريـة ضد أهداف سـورية، بمـا فـي ذلك في قلب العاصمة دمشـق، واتسـمت اسـتراتيجيته العسـكرية بالاعتمـاد على التحالفات العسـكرية والسياسـية، حيـث لـم تخض جماعتـه المواجهات لوحدهـا، كما لم تسـتأثر بالحكم بمفردهـا أيضًا[105].

قيادات في «هيئة تحرير الشام» أثناء تكريم الأوائل في دورة «قادة الكتائب» – فبراير 2022

وفي هذا السياق من المهم الإشارة إلى تعاطي الجولاني العسكري مع الجماعات المتطرفة الأخرى لفهم كيف أضحت قوة «هيئة تحرير الشام» العسكرية على هذا النحو، فمع نهاية عام 2016 نوقشت مبادرتان للوحدة بين الجماعات المتطرفة، تمثلت **الأولى** في توحيد كافة الجماعات المسلحة تحت مظلة «الجيش السوري الحر»، بينما اقتصرت **الثانية** على الجماعات السلفية التكفيرية والجماعات القريبة منهما، وفي ذلك الوقت اتجهت جماعة الجولاني «جبهة النصرة» أنذاك إلى المبادرة الثانية، والتي أسفرت عن إنشاء منظمة جديدة تسمى «هيئة تحرير الشام» في يناير 2017، وكان من المفترض في البداية أن تكون «هيئة تحرير الشام» هي المظلة التي تتوحد جميع المجموعات السلفية المتطرفة تحتها.

وعلى الرغم أن قيادة «حركة أحرار الشام» وافقت في البداية على الاندماج مع التنظيم الجديد، إلا أنها رفضت لاحقاً المصادقة على الاندماج خشية من سيطرة الجولاني على «الهيئة»، وتحسباً من إدراجهم في قائمة الإرهاب الدولي[106].

بعد عام 2017 أصبحت اليد الطولى «لهيئة تحرير الشام» بفضل اعتمادها على قوة عسكرية مركزية، حيث تم عزل «حركة أحرار الشام» التي أعادت هيكلة نفسها بالتحالف مع «حركة نور الدين الزنكي»، ما أعاد ميزان القوى في 2018، لكن «هيئة تحرير الشام» استطاعت فرض نفسها نهائيًّا في يناير 2019 بعد أن تلقت دعمًا عسكريّا من «الحزب الإسلامي التركستاني»، وضمنت حياد «فيلق الشام» المقرب من تركيا، ما ساهم في تعزيز سيطرة الجولاني على الأرض، خاصة بعد أن قامت «الهيئة» بطرد «حركة نور الدين الزنكي» من مناطق نفوذها، وفرضت شروطها على الجماعات المتطرفة الأخرى، وأرغمتها على الخضوع لسلطة «حكومة الإنقاذ»[107].

وبالتوازي مع ترسيخ الوجود العسكري لجماعة الجولاني كان السعي للحصول على مصادر تمويل تعزز بقاء الجماعة وتجعلها قادرة على الاستمرار، ففي بدايات تشكيل «جبهة النصرة» اعتمد الجولاني في تمويله على ما حصل عليه من العراق، وتحديدًا من أبو بكر البغدادي، حيث حصل على دفعة أولى قدرت بـ2 مليون دولار.

لكن الجولاني الذي كان يخطط للابتعاد عن «داعش» كان حريصًا على إيجاد مصادر مالية أخرى، إلى جانب ما كان يحصل عليه من أموال المتعاطفين على صورة تبرعات[108]، حيث امتدت مخططات جمع التبرعات حول العالم، إذ اعتقلت السلطات الإيطالية 14 شخصًا في سردينيا ومدينة بريشيا الشمالية لجمعهم أموال من المجتمعات الإسلامية في أوروبا ونقلها إلى « جبهة النصرة»[109].

ومع الوقت بدأ الجولاني في انتهاج سياسة جديدة للحصول على الأموال، ففي عام 2013 حث تابعيه على نهب المواقع التاريخية، وإنشاء شبكات كبيرة لتهريب القطع الأثرية والاتجار بها[110]، ثم انتقل إلى الاستيلاء على منازل وممتلكات من وصفهم بـ«المرتدين والشبيحة» وعدد من الممتلكات الأخرى المملوكة للسكان المسيحيين النازحين، وعقارات أخرى كان يمتلكها ضباط وجنود في الجيش السوري، وآخرون موظفون في الحكومة السورية، وأعضاء من حزب البعث الحاكم[111].

كما توسع البحث عن مصادر تمويل حقيقية قائمة على خلق دورة اقتصاد تتواءم مع الواقع الجديد الذي أوجدته «هيئة تحرير الشام»[112]، وبدأت أولى خطوات ذلك بالاستيلاء على ممتلكات ومعدات من الجماعات المُسلحة الأخرى، والتي قُدرت بمبلغ 149 مليون دولار أمريكي على الأقل.

وبحلول أوائل عام 2018 تلقت «الهيئة» ما لا يقل عن 94 مليون دولار أمريكي خلال عدد من صفقات تبادل الأسرى أو تحرير الرهائن مع عدة جهات كالحكومة السورية وإيران والحكومة اللبنانية والحكومة الإيطالية، كما في حالة تحرير الرهينة الإيطالي «أليساندرو ساندريني» الذي اختطف عام 2016 على الحدود بين سوريا وتركيا وأفرج عنه في عام 2019[113]، إلى جانب جني الأموال من صفقات جثث القتلى الذين سقطوا في المواجهات[114].

بالإضافة إلى ذلك فرضت «هيئة تحرير الشام» رسوماً مرورية وجمركية وضريبية عند نقاط التفتيش على المدنيين والمركبات والبضائع، كما فرضت على المزارعين وأصحاب الأعمال والتجار زكاة سنوية يتم دفعها لبيت المال عن طريق الشرطة الدينية أو الحسبة، والمعروفة باسم «سواعد الخير»، وانتقلت مسؤولية جمع الزكاة في السنوات الأخيرة إلى مصلحة الزكاة التابعة للأمانة العامة «لهيئة تحرير الشام»[115].

لكن في يناير 2018، أفضت سيطرت الجولاني على حقول النفط، إلى جني الكثير من الأموال[116]، خاصة من تأسيس شركة «وتد» للبترول وحصولها على الحقوق الحصرية لاستيراد مشتقات النفط والغاز من تركيا إلى سوريا، وأدارة عملية البيع والشراء والتوزيع في المنطقة، فضلًا عن حقوق معالجة معظم النفط الخام المنتج في شمال شرق سوريا[117].

معبر باب الهوى

تمثّل الحدث الأكبر في التحولات التي شهدتها السياسة الاقتصادية «لهيئة تحرير الشام» في سيطرتها عام 2017 على معبر باب الهوى الحدودي، الذي يعتبر أكبر مصادر دخلها في شمال غرب سوريا[118]، وتعتبر السيطرة على معبر باب الهوى أحد أهم الانتصارات العسكرية والسياسية والاقتصادية «للهيئة» في السنوات الأخيرة.

ذلك، لموقعه الجغرافي الوظيفي باعتباره المدخل الأوحد لوصول المساعدات الإنسانية من الخارج إلى الداخل السوري، ما يعطى للجولاني القدرة على التحكم مباشرة بحركة مرور مركبات المساعدات الغربية، ومن ثم فرض رسوم مرور وضرائب جمركية عليها، كما تجنى الهيئة ما يتراوح قدره بين عشرة وخمسة عشر مليون دولار شهريًّا من عائدات مرور البضائع[119].

والأكثر خطورة في هذا السياق أن «الهيئة» نجحت في الاستحواذ على نسبة كبيرة من المعدات العسكرية والإمدادات المقدمة لجماعات مسلحة أخرى[120]، ما يعنى أنها تجني من وراء المعبر السيطرة الاستراتيجية والمال والسلاح معاً.

وفي سبتمبر 2018 طلبت كل من الوكالة الأمريكية للتنمية الدولية (USAID) ووزارة التنمية الدولية البريطانية (DFID) من شركائهم التوقف عن استخدام المعبر بسبب الرسوم التي تفرضها «حكومة الإنقاذ الوطني» التابعة «لهيئة تحرير الشام»، وأصدرت مفوضية المؤسسات الخيرية في ديسمبر 2018 التي تنظم الجمعيات الخيرية في إنجلترا وويلز تحذيرًا مما قد ينتجه إحكام الجولاني لسيطرته على المعبر وخاصة في حجم الفائدة العائدة عليه وعلى جماعته، مما يعرّض الجمعيات الخيرية التي تستخدم الحدود إلى جريمة جنائية محتملة[121].

الجولاني واستراتيجية المواجهة والتحالفات محليًّا وإقليميًّا

أولًا "هيئة تحرير الشام" والنظام السوري وحلفائه

منذ اندلاع الأزمة السورية سعى إلى إبراز السياسات الأمنية للسلطات من أجل جلب التعاطف من الرأي العام المحلي والدولي في مواجهة النظام السوري، وتصوير أن جماعته تقوم «بواجبها» في مواجهة «إرهاب» الدولة[122].

ولم تتوقف محاولات الجولاني الرامية إلى التقرب من الولايات المتحدة الأمريكية باعتبارهما ينطلقان من أرضية مشتركة في مواجهة النظام السوري وحلفائه من الروس والإيرانيين، فضلًا عن «إرهاب» الجماعات المتطرفة الأخرى كالقاعدة وداعش[123].

وفي سبيل ذلك وعد الجولاني بحماية «الأقليات الدينية والمذهبية» السورية التي لم تنخرط في مواجهة جماعته، أو ممن لم ترسل رجالها للقتال في صفه، وجنحت نحو السلم، ووصلت تلك الوعود «للطائفة العلوية» ذاتها التي يسعى الجولاني جاهداً لإقناع الغرب أنه ليس صاحب مصلحة في قتالها، وأن الأمر متعلق فقط بمعارضة السلطة السياسية، رغم وضوح نظرة الجولاني للعلويين بوصفهم «خارجين عن الملة الإسلامية»[124].

وقد رصد الجولاني مكافأة مالية بقيمة إجمالية 5 ملايين يورو (5.7 مليون دولار) لإستهداف حياة الرئيس السوري بشار الأسد وزعيم حزب الله حسن نصر الله، ودعا إلى تصعيد الهجمات على معاقلهما، وشن هجمات في روسيا[125]، كما يستثمر الجولاني حالة العداء القائمة بين النظام السوري والولايات المتحدة الأمريكية من جهة، وروسيا وإيران من جهة أخرى باعتبارهما حليفتان للنظام[126].

ثانيًا "هيئة تحرير الشام" وتركيا

العلاقة بين «هيئة تحرير الشام» وتركيا علاقة متشابكة ومعقدة، وتتسم بالتأرجح بين العداء والحذر، لكنها في مجملها محكومة بالبراغماتية والواقعية السياسيتين، فتركيا، وبحكم اعتبارات كثيرة منها عضويتها في حلف «الناتو»، ملزمة بالقوانين والمعاهدات الخاصة «بمكافحة الإرهاب»، وهو ما جعلها تعارض علاقة «جبهة النصرة» بتنظيم «القاعدة» في بداية مسيرة الجولاني، وعلى الطرف الآخر كان الجولاني، المتأثر بأيديولوجية «القاعدة» المتطرفة، ينظر إلى تركيا باعتبارها دولة علمانية[127].

ومع التحولات التي مر بها الجولاني استبدلت تركيا نظرتها القديمة بأخرى، عملت خلالها على فتح الطريق للتعرف إليه عن قرب، وبحثت إمكانية التعاون معه، خاصة وأنها سعت لتأمين خاصرتها الجنوبية في الشمال الغربي السوري بعد القلق الأمني الذي مثله تنظيم «داعش»، والذي وصل إلى العمق التركي في قلب إسطنبول.

ومع ضربات التحالف الدولي ضد «داعش» سعت «هيئة تحرير الشام» إلى تقديم تنازلات تعاقدية وعسكرية خوفًا من مواجهة مصير مماثل لما حدث مع «داعش»، وبالفعل تحول العداء بين «هيئة تحرير الشام» وتركيا إلى شكل من أشكال التنسيق، وسمحت «الهيئة» للدوريات التركية بدخول الأراضي الخاضعة لسيطرتها وحماية نقاط المراقبة التركية في شمال سوريا، وهو ما كان محظورًا من قبل[128].

ومع الوقت أخذ التنسيق بين الجانبين شكلًا من أشكال التعاون واسع النطاق، حيث سهلت «هيئة تحرير الشام» حصريًا العمليات اللوجستية والعسكرية التركية في الشمال، ومنعت استخدام أي من الجماعات المتطرفة أراضي الشمال السوري لاستهداف تركيا، حتى «فيلق الشام» الذي كان قريبًا من تركيا، أصبحت «الهيئة» وسيطاً بينه وبين الجانب التركي، ولم يعد بإمكانه التواصل مع الأتراك دون موافقة «الهيئة»، ويُذكر أنها سلَّمت أكثر من خمسين متطرفاً مسلحًا من جنسيات أجنبية إلى السلطات التركية، كانت «الهيئة» قد اعتقلتهم على مدار السنوات السابقة[129].

إن نشوء هذا الوضع الجديد ما بين الجولاني وتركيا جاء من منطلق المصالح المشتركة بين الجانبين، فالهيئة تحتاج إلى غطاء سياسي إقليمي ودولي للحماية من استهدافها كمجموعة متطرفة إرهابية، وفي الوقت ذاته تحتاج تركيا إلى علاقات مع جماعة مسلحة ذات انضباط عسكري وتنظيمي لديها القدرة على السيطرة على المناطق الخاضعة لسيطرتها، ولا تخضع لأي قوة أجنبية[130].

لكن كل ذلك لا ينفي وجود تعارض كبير في الأهداف والتوجهات المستقبلية بين الجانبين، خاصة بعد رفض «الهيئة» الانضمام لجبهة التحرير الوطنية، حيث لم يعد الجولاني يثق بالتزام تركيا في الدفاع عن محافظة إدلب، ومساعدتها في تأسيس نظام «الحكم الإسلامي» الذي يطمح إليه، ففي أغسطس 2018 صنفت تركيا «هيئة تحرير الشام» كجماعة إرهابية، مما يوضح طبيعة العلاقة المعقدة بين الجانبين[131]، وهو ما يذكّر بطبيعة العلاقات المعقدة التي تربط تركيا بحركة حماس الفلسطينية، حيث يرى بعض المراقبين أن الوضع في إدلب بات يتجه إلى حد كبير نحو سيناريو شبيه بقطاع غزة في فلسطين، حيث سيكون الجولاني في إدلب مثل قيادة حماس في غزة، معزولًا ولكنه صاحب قوة ونفوذ[132].

ثالثًا "هيئة تحرير الشام" والغرب

يسعى الجولاني جاهدًا في السنوات الأخيرة، ومع التحولات التي رافقت مسيرته، إلى تقديم نفسه كرجل دولة معتدل، لا يحمل أي مشاعر سيئة تجاه الغرب، وإقناع الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد الأوروربي والأمم المتحدة بإزالة «هيئة تحرير الشام» من قوائم المنظمات الإرهابية الخاصة بهم[133].

وفي هذا السياق يجادل الجولاني بأن الأموال التي حصل عليها من أبو بكر البغدادي وعلاقته القديمة مع تنظيم «داعش» كانت خيارات اضطرارية بحكم حاجته الماسة إليها في ذلك الوقت، وأنه استخدم تلك الأموال في مهاجمة أهداف عسكرية ولم يستهدف المدنيين، وتعتبر هذه القضية من أهم الإدانات الموجهة للجولاني، والتي سببت إدراج وزارة الخارجية الأمريكية له على قائمتها للمراقبة الإرهابية منذ بداية مسيرته المتطرفة عام 2013[134].

ومما يعكس التحول في النظرة الأمريكية -ولو بالقدر اليسير- تجاه الجولاني وجماعته؛ وصف جيمس جيفري المبعوث الأمريكي السابق في سوريا «هيئة تحرير الشام» بأنها الخيار الأقل سوءًا من بين الخيارات المختلفة بشأن إدلب»[135]، وفي السنوات الأخيرة من حكم الرئيس الأمريكي السابق دونالد ترامب سعى الجولاني لإرسال رسائل عدة لإدارته تؤكد أنه وجماعته ليسوا إرهابيين، وأبدى رغبته في أن يكونوا أصدقاء للولايات المتحدة، مشدداً على أن معركته محلية[136].

وقد شكل وصول حركة طالبان إلى السلطة في أفغانستان، حافزاً لقيادة «هيئة تحرير الشام» للمضي في محاولاتهم لطمأنة الغرب وفتح صفحة جديدة مع حكوماته، معتمدة على إحكام سيطرتها القوية على منطقة إدلب ومحيطها في الشمال السوري، وبهذا يرى الجولاني أن نجاح ذلك سيحقق له ولهيئته مكاسب كبيرة، خاصة في ظل استعداده التام للعب دور شرطي المجتمع الدولي في محاربة الجماعات التكفيرية المتطرفة المنافسة له، خاصة «القاعدة» و «داعش»، وهو يقدم ذلك الاستعداد بمثابة قربان للاعتراف الدولي بجماعته وعدم وصفها بالإرهاب»[137].

رابعًا الجولاني وتنظيم "داعش"

منذ لحظات تأسيس جماعته الأولى عام 2011 لم يتنكر الجولاني لتلك الفترة التي كانت وثيقة الصلة بتنظيم «داعش»، ولم ينكر حجم الدعم الذي تلقاه وجماعته الوليدة من زعيم «داعش» من مال وسلاح وغيرهما، في نفس الوقت الذي لم تنقطع فيه صلته الروحية بتنظيم «القاعدة» والطاعة غير المعلنة لزعيم التنظيم أيمن الظواهري في ذلك الوقت، وهو ما دفع البغدادي إلى اتهام الجولاني بمخادعته بعد ذلك، حينما خرج الأخير بتأكيد بيعته للقاعدة، لتبدأ بعدها مرحلة جديدة من الصراع المفتوح بين المجموعات التكفيرية المتطرفة في كل من العراق وسوريا، حيث أوقفت «داعش» إمدادات الأسلحة إلى «جبهة النصرة»، وبدأت في السيطرة على مستودعات الأسلحة والمناطق الخاضعة لها.

وكانت المواجهات المسلحة العنيفة ما بين «داعش» و «النصرة» من أكثر الصراعات وحشية، حيث كانت بمثابة «معركة مصير» بالنسبة للبغدادي الذي رأى أن الأولوية الأهم بالنسبة إليه تتمثل في تأمين السيطرة على مناطق مهمة في سوريا، من أجل الحفاظ على مساحات «دولته» في العراق وسوريا معًا[138].

وفي الواقع، كانت قيادة «داعش» تخشى بشدة أن تتطور «جبهة النصرة» إلى منافس حقيقي، وهو ما يفسر الضغط المتزايد من قبل البغدادي على قيادة «النصرة» لتأكيد خضوعها لسلطته[139]، ففي 8 إبريل 2013 أصدر البغدادي بيانًا قال فيه إن «جبهة النصرة» أسست من قبله كواجهة في سوريا لإنشاء «دولة إسلامية» في المستقبل، والتي كان من المقرر أن تمتد على منطقة من شمال العراق إلى سوريا، تحت مظلة واحدة سميت بعد ذلك «الدولة الإسلامية في العراق والشام»[140].

لكنّ الجولاني الذي لم يقبل بتلك التبعية ما لبث أن استعاد الأراضي التي فقد السيطرة عليها بعد المواجهات العنيفة بين جماعته وجماعة البغدادي، ونجح في جذب العديد من المتطرفين المتمردين على سلطة البغدادي إليه، ودعمته بعض الجماعات المتطرفة الأخرى، مثل «حركة أحرار الشام»، وفي بعض الأحيان انضم عناصر من «الجيش السوري الحر» إليهم.

وعلى الرغم من ذلك العداء، فقد شهدت العلاقة بين «جبهة النصرة» و «داعش» في سوريا بعض التعاون والتنسيق المشترك كما حدث في مخيم اليرموك للاجئين الفلسطينيين في دمشق، بعد أن قاتلت الجماعتان معًا ضد قوات الجيش السوري إلى جانب بعض الفصائل الفلسطينية المسلحة، كالجبهة الشعبية لتحرير فلسطين- القيادة العامة التي كان يتزعمها أحمد جبريل في ذلك الوقت، وفي تلك الفترة أثيرت بعض التكهنات حول نشوء تقارب بين الجماعتين، لكن الوقائع على الأرض نسفت تلك التكهنات، خاصة مع تصاعد المواجهات المسلحة العنيفة بينهما، حيث كان حدث اليرموك مجرد تعاون مؤقت فرضته ضرورات اللحظة ليس إلا[141].

وفي المحصلة ترتب عن انفصال «جبهة النصرة» عن «داعش» في عام 2013 أمران في غاية الأهمية، **أولهما** مغادرة العديد من المتطرفين الأجانب «للنصرة» وانضمامهم إلى «داعش»، وبذلك تخلصت «النصرة» من إشكالية المتطرفين الأجانب وأعبائهم؛ **وثانيهما:** تحفيز بعض متطرفي «القاعدة» للذهاب إلى سوريا لنقل خبراتهم وتقديم دعم لوجيستي «لجبهة النصرة»، وهو ما اتضح بعد ذلك لدى وصول عدد من زعماء «القاعدة» إلى سوريا، مثل أبو فراج المصري، وأبو الخير المصري، الرجل الثالث في تنظيم «القاعدة»، الذي بدأ التنسيق مع «النصرة» خلال عملية تبادل الأسرى بين إيران و«القاعدة»، علماً أن عدداً من أولئك الزعماء تمت تصفيتهم في ضربات الطائرات بدون طيار التي نفذتها الولايات المتحدة الأمريكية بين عامي 2014 و2016[142].

تأثيرات صعود طالبان على الجولاني ومستقبل "هيئة تحرير الشام"

كانت «هيئة تحرير الشام» من أولى الجماعات المتطرفة التي استقبلت استيلاء حركة طالبان على السلطة في أفغانستان بالإشادة والتأييد والمباركة، معتبرة الحدث انتصاراً لذات الأيديولوجية التي تتبناها، ودعمًا لها في مواصلة مشروعها الراديكالي، و «بشرى» لإمكانية تحقيق انتصار عليه[143]، «فالهيئة» تسيطر على مساحات من محافظة إدلب الشمالية الغربية، ما قد يدفع نحو سيناريو مماثل لما حدث في أفغانستان في حالة «الإطاحة بالرئيس بشار الأسد ونظامه» حسب ما ورد في بيانات «الهيئة»[144].

وقد عبرت جماعة الجولاني عن ابتهاجها بالحدث الأفغاني من خلال الاحتفالات التي أقامتها في المساجد والمؤسسات الدينية الأخرى، وقيام خطبائها بإبراز تاريخ حركة طالبان والإشادة بنجاحها، وتنظيم مسيرات تأييد وتقديم الحلويات في شوارع إدلب[145]، وأصدرت بياناً معبرًا عن ذلك جاء فيه: «بأقصى درجات الفرح والسرور تلقينا نبأ انتصار شعبنا في أفغانستان وتحرير أرضه من الاحتلال وعملائه على يد حركة طالبان، ربما يكون في هذا الانتصار الذي نشهده اليوم درسًا وفرصة للمجتمع الدولي والأطراف الأخرى حيال الصمت تجاه «جرائم» النظام وأعوانه، إذ ينبغي أن يشجعهم ذلك الانتصار على نصرة إرادة الشعوب ودعم مطالبها»[146].

في موازاة ذلك، تحدث الجولاني عن ضرورة التفكير جديًّا في توسيع نفوذ جماعته إلى مواقع خارج إدلب، في إشارة إلى ريفي حلب الشمالي والغربي[147]، ودعمه في ذلك زعماء الصف الأول من «الهيئة»، حيث قال رئيس المكتب الإعلامي للهيئة، تقي الدين عمر، إن التطورات في أفغانستان مشابهة لتلك التي تشهدها سوريا، ومعبرًا عن كون هذا الموقف لا يمثل «هيئة تحرير الشام» وحدها، بل يمثل الشعب السوري بأكمله[148]، كما قام أبو ماريا القحطاني بمخاطبة «الهيئة» بقوله: «إن النصر لا يأتي من خلال التنازلات أو العبارات الملطفة، إنما من خلال هدير المدافع وطلقات الرصاص»[149].

مسلحو حركة طالبان في شوارع العاصمة الأفغانية كابل - أغسطس 2021 - المصدر: GettyImages

وتوالت المحاضرات والمجالس من قبل المنظرين والخطباء داخل جماعة الجولاني، حيث قدَّم عبد الرحيم عطّون محاضرة بعنوان (الجهاد والمقاومة في العالم الإسلامي: طالبان نموذجاً)، تحت إشراف «حكومة الإنقاذ» التابعة «للهيئة» بمدينة إدلب، وظهر خلالها مرتديًا بدلة رسميّة، عاقدًا مقارنة أبرز خلالها أوجه التشابه بين حركة طالبان و «هيئة تحرير الشام»، والتغيرات التي حدثت في مسيرة «الهيئة»، ومن أهمها تبنيها للعمل المحلي داخل سوريا، ورغبتها في التواصل مع الدول، خاصة الغربية منها[150]، والقضية الأكثر أهمية في طرح عطّون، مع تأكيده على أنّ «هيئة تحرير الشام» أكثر الجماعات المتطرفة والمسلحة نفوذًا وتماسكًا في البلاد، هي مضي «الهيئة» قدمًا، ورغبتها الرامية إلى التخلص من جذورها الأكثر راديكالية[151].

وتقودنا تلك المشاهدات إلى أنّ كلاً من حركة طالبان و «هيئة تحرير الشام» تمثلان نمطاً من الجماعات التي نمت في سياقات بيئتها المحلية، وتطورت نتيجة خبراتها المتراكمة وتفاعلها مع معطيات الواقع الداخلي والإقليمي والدولي، فالجماعتان تشتركان في نظرتهما البراغماتية السياسية المستندة إلى «تأويلات شرعية»، وهي نظرة تجمع ما بين المحافظة على مستوى من «الأصولية السلفية» والقدرةعلى المناورة السياسية وفق رؤية محلية غير معولمة[152]، وهو ما جعل «هيئة تحرير الشام» ترى في نجاح حركة طالبان في أفغانستان تعزيزاً لها، باعتباره نموذجًا مماثلًا لما عايشته «الهيئة»، وسعيها نحو تأسيس مجتمع مدني تحت سقف الشريعة، يراعي محددات السياق المحلي السوري، ولا يتعارض مع متطلبات السياقات الإقليمية والدولية[153].

بيد أن ذلك لا يعني تمام التطابق، فحركة لطالبان متجذرة فعليًّا في النسيج الاجتماعي الأفغاني على امتداد ما يقارب ثلاثة عقود، وخاضت مواجهات مسلحة على مدار سنوات طويلة، وتحكم الآن أفغانستان بأكملها، في حين أن جماعة الجولاني لا تتعدى عقدًا من عمرها، وتسيطر على مساحات جزئية ومحدودة من سوريا[154].

الاستنتاجات

1 أثبتت تجربة «أبو محمد الجولاني» في سوريا قدرة التنظيمات السلفية التكفيرية على التكيّف بالشكل الذي يتيح لها البقاء والاستمرارية، ففي الوقت الذي شعر خلاله الجولاني أن هويته الأيديولوجية وعلاقاته التنظيمية بكل من «القاعدة» و «داعش» قد تضر بمشروعه السياسي في سوريا، سارع نحو الانفكاك عنهما، وعمل على بلورة مشروع ينسجم مع اشتراطات السياق القائم، ولا يتعارض مع أهدافه على المدى الطويل، من خلال حصره في الجغرافية السورية بحيث يبدو مشروعاً محليًّا، على الرغم من حجم المشتركات الفكرية والأيديولوجية الكبيرة بين الجولاني وهيئته وكل من تنظيمي «القاعدة» و «داعش».

2 منح وصول حركة طالبان إلى الحكم في أفغانستان الحياة للتنظيمات السلفية التكفيرية على اختلاف تنويعاتها الأيديولوجية، فضلاً عن إحيائه الآمال نحو إمكانية استنساخ التجربة نفسها في دول أخرى، لكن الحدث الأفغاني، في المقابل، أسس لنوع من التمايز داخل تلك التنظيمات السلفية التكفيرية، من خلال الإقرار بأن ثمة علاقة شرطية تربط بين إمكانية وصول حركة سلفية تكفيرية ما إلى الحكم بوجود قبول غربي لها، وتحديدًا من قبل الولايات المتحدة الأمريكية، وليس شرطًا أن يصل ذلك القبول إلى درجة الاعتراف الرسمي، وذلك في حالة تقديم ضمانات بأن تلك «الحركة» لا تمثل تهديدًا مباشرًا واضحًا للغرب ومصالحه، وهو ما يفسر حماسة الجولاني المفرطة في تسريع تحولاته بعد الانفكاك من الارتباطات التنظيمية سالفة الذكر، وسعيه لبلورة مشروع سياسي يجمع بين الفكرة الأصولية الرامية إلى إقامة «الدولة/ الإمارة الإسلامية» التي تحكم بالشريعة، والبراغماتية السياسية التي تتجنب تهديد الغرب وأنظمته ومصالحه، آملًا في تكرار نموذج حركة طالبان في أفغانستان، ومن قبله نموذج حركة حماس في غزة، فضلًا عن نموذج حزب الله في لبنان.

3 تتمثل الخطورة الحقيقية لنموذج الجولاني في سوريا في إمكانية قبول الغرب والتعاطي معه من خلال فتح قنوات اتصال مع «هيئة تحرير الشام»، باعتبارها واقعًا قائماً لا مفر منه، والتعامل مع الجولاني كأحد الفواعل الرئيسة في تحديد مستقبل سوريا السياسي، خاصة بعد ما فرضته قوته العسكرية من تغيرات على الأرض في الشمال الغربي السوري، وتأسيسه ما أطلق عليه «حكومة إنقاذ» تدير الشأن العام المدني، كما تبرز تلك الخطورة في إلهامه لبعض للجماعات المتطرفة الأخرى وتحفيزها لاستنساخ التجربة ونقلها إلى دول أخرى مجاورة، ما يشكّل تهديدًا مباشرًا للأمن الإقليمي العربي من المحيط إلى الخليج، بالإضافة إلى احتمالات امتداد «العدوى» إلى قطاعات أخرى من جماعات الإسلام السياسي، وعلى رأسها تنظيم الإخوان المسلمين في الدول العربية، ما يهدد مجمل البنى السياسية والمجتمعية لجميع الدول العربية والإسلامية في الشرق الأوسط.

4 يستمد الجولاني قوته من حالة عدم الاستقرار، والتي نجح في استثمارها من أجل رسم صورة نمطية حول وجود خطر طائفي (شيعيّ-علويّ) يهدد «أهل السنة» في سوريا، خاصة بين العشائر والتجمعات العربية «السنية»، وهذه ليست استراتيجية جديدة في عمل الجماعات السلفية التكفيرية، بل هي ركن أساس في استراتيجية تلك الجماعات، ومارستها «القاعدة» و «داعش» في العراق، ولا زالت تمارسها في خطابها التحريضي ضد المخالفين لها أو المختلفين معها، والجولاني ذاته كان جزءاً من تلك الممارسات خلال وجوده في العراق.

5 يمثل البعد النفسي نقطة مهمة في فهم مشروع الجولاني السياسي في سوريا، إذ إن الإشكالية الحقيقية لديه تنبع من داخله، فطموحه الشخصي ورغبته المتصاعدة في الظهور وتصدر المشهد جعلته كثير التقلب حسب تغير السياقات السياسية والمجتمعية والتنظيمية من حوله، إلى أن ذهب بعيدًا لدرجة تخيل ذاته «رجل دولة»، وما بين بداياته شديدة التطرف ومسلكياته التكفيرية الإرهابية في حواضن «داعش» و «القاعدة» من جهة، وبروز نجمه في الإعلام كلاعب سياسي براغماتي يحلم بحكم «دولة» مدنية من جهة ثانية؛ يعيش الجولاني حالة أقرب إلى الفصام واضطراب الهوية، فلا هو إسلامي راديكالي يتبنى رؤية أصولية سلفية تعتمد مقاربة الولاء والبراء ومعاداة الكافرين، ولا هو إسلامي ليبرالي يؤمن بالديمقراطية والتعددية ومهادنة الغرب، ما يجعل الكثيرين ينظرون إليه بعين الريبة والشك، ويساورهم القلق دومًا إزاء شخصيته القادرة على التلون والتحول أينما وجدت مصلحة لها في ذلك، بغض النظر عما يعلنه من أفكار أو يتبناه من مواقف سابقة.

المصادر والمراجع

1.AJJOUB,O,"TheDevelopmentoftheTheologicalandPoliticalAspects ofJihadi-Salafism", Sweden: Media-Tryck, Lund University, 2021, P 11.
2. Ibid, P7
3. Ibid, P5
4. Drevon, J., Haenni,P,« Redefining Global Jihad and Its Termination: The Subjugation of al-Qaeda by Its Former Franchise in Syria », United Kingdom: Taylor & Francis Group, 2022,P2
5. Charles R. Lister," The Syrian Jihad: Al-Qaeda, the Islamic State and the Evolution of an Insurgency" ، HURST, November 2015.
6. Laub, Z, "Syria's Civil War: The Descent Into Horror", Council on foreign RELATION, March 17, 2021.
7. AJJOUB, O, "HTS is not al-Qaeda, but it is still an authoritarian regime to be reckoned with", Middle East Institute, June 24, 2021.
8. Drevon, J., Haenni,P,, Op.Cit.
9. Ibid
10. درويش، علي، « السياق والقوة.. أسس المفارقة بين "طالبان" و" تحرير الشام»، « عنب بلدي، 29اغسطس 2021
11. » Syria's top extremist group HTS hails Taliban takeover of Afghanistan«, AL Arabiya news, August 18 ,2021.
12. »Hay'at Tahrir al-Sham)HTS(: TNT Terrorism Backgrounder«, CSIS, OCTOBER 4, 2018
13. Al-kanj, S, "HTS leader shocks popular base after interview with Western journalist", AL-Monitor, February 5, 2021.
14. Boghani, P," Syrian Militant and Former Al Qaeda Leader Seeks Wider Acceptance in First Interview With U.S. Journalist", Frontline, APRIL 2, 2021
15. Y.Zelin, A, "The Age of Political Jihadism: A Study of Hayat Tahrir al-Sham", The Washington Institute for Near East Policy, Washington, USA, 2022, P2
16. Ibid.
17. Ibid, P19
18. "Transcript the Jihadist", Frontline, June 1, 2021
19. Boghani ,P, Op.Cit.
20. "Transcript the Jihadist", Op.Cit.
21. Ibid.
22. Ibid.
23. Ibid.
24. Ibid.
25. Ibid.
26. Andersen, L, "The Mole and the Mallet: Islamic State and al-Qaeda in the 'Thirty Years› War' in the Middle East", Partnership for Peace Consortium of Defense Academies and Security Studies Institutes, 2017.
27. "Transcript the Jihadist", Op.Cit.
28. Khalifa, D, "The Jihadist Factor in Syria's Idlib: A Conversation with Abu Muhammad al-Jolani", CRISIS Group, 20 February 2020.
29. Y.Zelin,A, Op.Cit, P17
30. Andersen, L, Op.Cit.
31. »Hay'at Tahrir al-Sham)HTS(: TNT Terrorism Backgrounder« , Op.Cit.
32. Y.Zelin,A, Op.Cit, P17
33. Ibid.
34. Ibid.
35. AL-Tamimi, A.J, "From Jabhat al-Nusra to Hay›at Tahrir al-Sham: Evolution, Approach and Future" , AL-Nahrain center for strategic studies, Iraq, Dec 6, 2017, P8.
36. Y.Zelin,A, Op.Cit, P18
37. "The Jihadi Threat 4: Whither Jabhat Fateh al-Sham?", Wilson Center, December 8, 2016.
38. Ibid.
39. Drevon, J., Haenni,P, Op.Cit.
40. »Hay'at Tahrir al-Sham)HTS(: TNT Terrorism Backgrounder« , Op.Cit.
41. Y.Zelin,A, Op.Cit, P19
42. Ibid.
43. Khalifa, D, Op.Cit.
44. "Anti-government armed groups", Euaa, Last updated: September 2020.
45. Favoriti, A., categoria, S., "Il radicamento di Hayyat Tahrir al-Sham nella provincia siriana di Idlib", Lo Spiegone, 13 Novembre 2021
46. Ibid.
47. Y.Zelin,A, Op.Cit, P9.
48. Khalifa, D, Op.Cit.
49. Ibid.
50. Ibid.
51. Ibid.
52. AJJOUB, O, Op.Cit.
53. »Transcript The Jihadist«,Op.Cit.
54. AJJOUB, O, Op.Cit.
55. Drevon, J., Haenni, P., Op.Cit.
56. Y.Zelin,A, Op.Cit, P7
57. Drevon, J., Haenni, P., Op.Cit.
58. Al-kanj, S., Op.Cit.
59. Ibid.
60. Ibid.
61. "The Jihadi Threat 4: Whither Jabhat Fateh al-Sham?",Op.Cit.
62. Khalifa, D, Op.Cit.
63. »Transcript The Jihadist«,Op.Cit.
64. Khalifa, D, Op.Cit.
65. Drevon, J., Haenni, P., Op.Cit.
66. Ibid.
67. Ibid.
68. Ibid.
69. Andersen, L, Op.Cit.
70. Drevon, J., Haenni, P., Op.Cit.
71. Ibid.
72. Ibid.
73. Favoriti, A., categoria, S., Op.Cit.
74. "The Jihadi Threat 4: Whither Jabhat Fateh al-Sham?",Op.Cit.
75. Drevon, J., Haenni, P.,« How Global Jihad Relocalises and Where it Leads. The Case of HTS, the Former AQ Franchise in Syria«, Robert Schuman Centre for Advanced Studies The Middle East Directions Programme, Italy, 2021. P 2
76. "The Jihadi Threat 4: Whither Jabhat Fateh al-Sham?",Op.Cit.
77. Drevon, J., Haenni, P., Op.Cit.
78. "The Jihadi Threat 4: Whither Jabhat Fateh al-Sham?",Op.Cit.
79. Ibrahim, H.," Abu Amsha's recent move raises possibilities of integration between National Army and HTS", Enab Baladi, 18may 2022.
80. brahim, H.," Abu Amsha's recent move raises possibilities of integration between National Army and HTS", Enab Baladi, 18may 2022.
81. Ibid.
82. Ibid.
83. "The Jihadi Threat 4: Whither Jabhat Fateh al-Sham?",Op.Cit.
84. Y.Zelin,A, Op.Cit, P8
85. Ibid.
86. Ibid, p 1011-
87. Ibid. p11
سوريا ـ محافظة إدلب في طريقها للتحول إلى قطاع غزة جديد،» دويتشه فيله ، 8مارس 2021 » .

89. Ibid.
90. Ibid.
91. Khalifa, D, Op.Cit.
92. Ibid
93. مقابلة مع الباحث السورى عرابي محمد عرابي
94. Drevon, J., Haenni, P., Op.Cit.
95. YOUNG, M.," Why Kabul Has an Echo in Idlib", Carnegie Middle East Center, 17September 2021.
96. »Transcript The Jihadist«, Op.Cit.
97. AJJOUB, O,Op.Cit.
98. »Transcript The Jihadist«, Op.Cit.
99. Drevon, J., Haenni, P., Op.Cit.
100. »Transcript The Jihadist«, Op.Cit.
101. Ibid.
102. »Hay'at Tahrir al-Sham)HTS(: TNT Terrorism Backgrounder« , Op.Cit.
103. "Anti-government armed groups",Op.Cit.
104. "The Jihadi Threat 4: Whither Jabhat Fateh al-Sham?",Op.Cit.
105. »Hay'at Tahrir al-Sham)HTS(: TNT Terrorism Backgrounder« , Op.Cit.
106. Ibid.
107. Drevon, J., Haenni, P., Op.Cit.
108. Drevon, J., Haenni, P.,Op.Cit. p 3
109. Ibid, p5
110. Transcript The Jihadist,Op.Cit
111. J. Shatzi, H.," ISIS and Nusra Funding and the Ending of the Syrian War", Omran for strategic studies, Discussion paper for the workshop on: "The emerging security dynamics and the political settlement in Syria", Syracuse, Italy, 1819- October 2018, P 6.
112. AL-Zaraee, N., Shaar, K., "The Economics of Hayat Tahrir al-Sham", Middle East Institute, 21June 2021.
113. Ibid.
114. Ibid.
115. Favoriti, A., categoria, S.,Op.Cit.
116. AL-Zaraee, N., Shaar, K., Op.Cit.
117. Ibid.
118. J. Shatzi, H.,Op.Cit.
119. Favoriti, A., categoria, S.,Op.Cit.
120. AL-Zaraee, N., Shaar, K., Op.Cit.
121. Favoriti, A., categoria, S.,Op.Cit.
122. J. Shatzi, H, Op.Cit.
123. Ibid, p5
124. Boghani, P,Op.Cit.
125. Taddonio, P.,« The Designated Terrorist and the Fight Over the Future of Syria's Last Opposition Stronghold », Frontline, 1 JUNE 2021.
126. زعيم جبهة النصرة: هدفنا السيطرة على دمشق وإسقاط الأسد،» بي بي سي، 28مايو»2015
127. الجولاني يرصد جائزة لمن يقتل الأسد،» الجزيرة، 13أكتوبر»2015
128. المرجع السابق نفسه
129. https://syria.chathamhouse.org/research/reviewing-the-turkey-hts-relationship
130. https://syria.chathamhouse.org/research/reviewing-the-turkey-hts-relationship
131. https://syria.chathamhouse.org/research/reviewing-the-turkey-hts-relationship
132. https://syria.chathamhouse.org/research/reviewing-the-turkey-hts-relationship
133. Y.Zelin,A, Op.Cit, P4
134. Y.Zelin,A, Op.Cit.
135. Al-kanj, S., Zaman, A.," Syrian jihadis hail Taliban 'conquest' despite their own effort to rebrand", Al-Monitor, 23 August2021.
136. »Transcript The Jihadist«Op.Cit.
137. Boghani, P., » Syrian Militant and Former Al Qaeda Leader Seeks Wider Acceptance in First Interview With U.S. Journalist », Frontline, 2 April 2021.
138. »Transcript The Jihadist«Op.Cit.
139. Al-kanj, S.," Hayat Tahrir al-Sham hands over Islamic State jihadists to Turkey", Al-Monitor, 27 April 2022.
140. Andersen, L, Op.Cit.
141. Ibid.
142. Ibid.
143. Ibid.
144. Drevon, J., Haenni,P,, Op.Cit.
145. » Syria's top extremist group HTS hails Taliban takeover of Afghanistan" , Op.Cit.
146. Al-kanj, S., Zaman, A.,Op.Cit.
147. Ibid.
148. Ibid.
رستم، مصطفى، « ما الذي يجمع بين «طالبان» و«هيئة تحرير الشام» في إدلب؟
149. «، اندبدنت عربية، 19اعسطس2021
150. Al-kanj, S., Zaman, A.,Op.Cit.
151. Ibid.
152. مقابلة مع الباحث السورى عرابي محمد عرابي
153. Al-kanj, S., Zaman, A.,Op.Cit.
154. درويش، علي، مصدر سابق

تنويه: حقوق النشر والتأليف محفوظة لمركز STRATEGIECS Think Tank ولا يجوز استخدام أي من المواد المنشورة على الموقع الإلكتروني أو إعادة إنتاجها أو نقلها كلياً أو جزئياً بأي صيغة أو وسيلة دون الإشارة إلى مصدرها.

STRATEGIECS®

THINK TANK

@ strategiecs

www.strategiecs.com